أنواع العرافة وطرقها عند شيشرون

قراءة في الكتاب الأول من محاورة "عن العرافة De Divinatione"

د. عبد العزيز إمام محمود أحمد

كلية الأداب – جامعة المنصورة

Abstract:

Kinds of Divination, their Methods, and their Reliability in Cicero: Reading the First Book of "On Divination."

In this paper, the researcher deals with the science of divination, divination of the future, or fortune telling through the first book "On Divination" which was written by Cicero, by analyzing texts with a focus on the fact that he provides us with a form of speculation about the future in their age.

Through Quintus' words in support of this science, he shows his belief in prophecy and its prevalence in the Roman world, and how he had methods of prophecy in the Romans, both artificial and natural, and through his speech he clarifies the position of philosophers on this science, and also shows his refusal to invoke chance in the interpretation of prediction, and provides an idea of history of divination and his endorsement of natural prediction.

It appears that Quintus supports the prediction by dreams and refers to dreams in the Romans and the states of frenzy (madness) and demonstrates his support of artificial and natural predictions, and that nature determines the type of prediction of the future. He indicated the exclusion of mental indulgence from the field of predictions of the future and that there is a mental interpretation of the predictions of frenzy (madness). And through dreams, he presented on Antiphon's theory in the interpretation of the dreams, and the existence of the divine providence, which takes care of human beings, and in the end he provides us with judgment and destiny in the field of speculation and the nature of the soul as a source of speculation, and attacks impostors, who claim divination.

ملخص:

في هذا البحث يتناول الباحث الحديث عن علم العرافة أو التكهن بالغيب أو قراءة الطالع من خلال تحليل نص الكتاب الأول من "عن العرافة" الذي كتبه شيشرون بعد مصرع يوليوس قيصر عام ٤٤ ق. م. مع التركيز على حقيقة أنه يقدم لنا صورة لأنواع التكهن بالغيب في عصره.

وفي بيت شيشرون الريفي في مقاطعة توسكولوم Tusculum* ومن خلال كلمات أخيه الوحيد كوينتوس Quintus في تأييد هذا العلم، يظهر اعتقاده في التنبؤ وشيوعه في العالم الروماني وكيف كانت له أساليب في التنبؤ عند الرومان مصطنعة وطبيعية، ومن خلال حديثه يوضح لنا موقف الفلاسفة من هذا العلم ويظهر أيضًا إيمانه بوجود النبوءة، وأنها فن من الفنون المكتسبة بالخبرة عبر الملاحظة والتدوين أو بالإلهام من لدن إله حكيم.

يظهر أن كوينتوس يؤيد التنبؤ عن طريق الرؤيا، ويشير إلى الأحلام عند الرومان وحالات المس (الجنون)، ويوضح تأييده للتنبؤ المصطنع والطبيعي، وأن الطبيعة هى التي تحدد نوع التكهن بالغيب، وقد أشار إلى استبعاد التدليل العقلي من مجال التكهن بالغيب، وأنه يوجد تفسير عقلي للتنبؤ بالمس (بالجنة) وعن طريق الرؤيا، وقدم نظرية أنتيفون في تفسير الرؤيا ووجود عناية إلهية هى التي ترعى الأفراد، وفي النهاية يقدم لنا القضاء والقدر في مجال التكهن وطبيعة النفس كمصدر للتكهن، وهاجم الدجالين من مدعي الكهانة.

وقد تم تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول مقدمة وفيها نتعرف على فن العرافة؛ القسم الثانى يتناول المصطلحات التي استخدمها شيشرون للتعريف بفن العرافة، والقسم الثالث يتناول مدى إيمان شيشرون بنجاعة العرافة؛ وتأتى خاتمة البحث

* مقاطعة توسكولوم تقع في الجنوب الشرقي لروما، ويكان شيشرون يمتلك فيلا كان يقيم فيها كثير من وقته وقد ألف العديد من مقالاته أثناء تواجده هناك.

فى نهايته لتحدد أهم النتائج التي توصل إليها الباحث؛ والذي اتبع المنهج الوصفي والتحليلي.

وقد اعتمد الباحث فى النصوص التى أوردها في بحثه على النص اللاتينى الوارد في طبعة اللويب([1]) .

وجدير بالذكر أن هناك ترجمة إلى اللغة العربية لرسالة شيشرون "عن العرافة" De Divinatione قام بها توفيق الطويل [٢] عام ١٩٤٦م.

أولًا: مقدمة:

كانت ممارسة العرافة واستشارة النبوءات ومحاولة التعرف على مشيئة الآلهة مرتبطة جزئيًا بعدم اليقين لدى البشر نتيجة الغموض في عواقب أمر ما هُم على وشك القيام به. وأمام هذا الغموض، قد يكون من الأفضل استشارة قوة عليا من أجل الاسترشاد في اتخاذ أفضل قرار، أو من أجل الحصول على إشارة إلى موافقة االألهة على اتخاذ قرار ما بالفعل[٣]. وكانت ممارسة العرافة التي يمتد تاريخها في الثقافة

(1) - Cicero, De Senectute, De Amicitia, De Divinatione, with an English Translation by:William ArmisteadFalconer, L C L, London, 1992.

(٢) علم الغيب فى العالم القديم : وضعه شيشرون فيلسوف الرومان وخطيبهم؛ ترجمه وشرحه وعلق عليه: توفيق الطويل؛ السلسلة الفلسفية والاجتماعية ٢، مكتبة الآداب بالجماميز؛ القاهرة [١٩٤٦].

– استعرض الطويل فى مقدمته محتوى الكتاب الأول واهتم بالحجج التى قدمها كوينتوس في تأييد الكهانة أو التنبؤ بالغيب؛ كما أنه ناقش أيضا ما ورد فى الكتاب الثانى من دحض لتك الحجج؛ دون أن يتعرض فى المقدمة إلى أنواع العرافة كما وردت في الكتاب الأول من "عن العرافة" لشيشرون، وإنما أشار إشارة عابرة إلى أمثلة محدودة منها. وترك تعدد أنواع العرافة إلى الترجمة العربية التى قدمها والتى من الواضح أنها ترجمة منقولة عن نص وسيط بين اللاتينية والعربية؛ رغم أنه يشير في مقدمته إلى أنه اعتمد على طبعة اللويب وأنه استعان بطبعة Garnier الفرنسية وأنه قد رجع في بعض الأحيان إلى الأصل اللاتيني!.

(3) Rosemary, L., The Role of the Pythia at Delphi: Ancient and Modern Perspective, M.A., Unversity of South Africa, 2014, p. 7.

اليونانية والرومانية إلى آلاف السنين، واحدة من التقاليد الروحية العظيمة التي وفرت وسائل إيجابية للتواصل مع المعبودات الإلهية العليا مباشرة(١).

وكانت فن العرافة موجودة عند أمم كثيرة وبطرق مختلفة؛ فالآشوريون مارسوها عبر تتبع مسارات النجوم، وكذلك فعل الكلدانيون الذين تأثروا بالأشوريين، ومارسوا العرافة عبر تتبع مسارات النجوم؛ أما المصريون فيضرب علم التنبؤ بالغيب عندهم على امتداد العصور longinquitate temporum . أما أهل كيليكيا Cilicia وأهل بيسديا*Pisidia بآسيا الصغرى فقد مارسوا العرافة عبر التطير، سواء عبر تغريد الطيور أو عبر اتجاهات طيرانها، أما الإغريق فلم يُقدِموا على استيطان مكان ما إلا بعد استشارتهم لنبوءة دلفي أو نبوءة دودونا*، لأنهم اعتادوا أن يلتمسون مشورة آلهتهم(٢).

وإذا كان تعدد طرق العرافة وعراقتها عند الأمم الأخرى – طبقًا لشيشرون– على الصورة المذكورة أعلاه، فماذا ذكر شيشرون عن العرافة عند الرومان؟

---

(٢) Dedes, E., Oracular Priestesses and Goddesses of Ancient Crete, Delphi, and Dodona, Ph.D., San Francisco, 2015, p. 187.

* كيليكيا إقليم في جنوب أسيا الصغرى، وكانت تشتهر بقراصنتها الذين أسسوا قوات قواعدهم منذ أقدم العصور حتى العصور الرومانية، ولقد خضعت كيليكيا لحكم الرومان عام ١٠٢ ق. م.؛ أما بيسيديا فهي منطقة جبلية تقع أيضا في جنوب أسيا الصغرى. ولقد سكنت بيسيديا قبائل أستطاعت أن تتفادى محاولات ملوك الغرب وخلفاء الأسكندر في ضمها إليهم. ولقد استطاع الرومان أن يضموا بيسيديا إلى حكمهم في القرن الثاني الميلادي. انظر :

OCD. s. v. Cilicia and Pisidia

* تقع منطقة دلفي Δελφοί على المنحدرات الجنوبية من جبل البارناسوس وكانت مركزا لوحي الإله أبوللون، أما منطقة دودونا Δωδώνη فتقع عند جبال إيبروس، وكانت مركزا لوحي الإله زيوس أنظر : O C D, S. V. Delphi and Dodouna

(2) Cf., Cicero, De Divinatione I. i.2.

يؤكد شيشرون أن فن العرافة قد بدأ عند الرومان مع بداية تأسيس مدينتهم، حيث إن رومولوس Romulus قد أقدم على تأسيس روما مدفوعًا بنبوءة من الآلهة؛ وأكثر من ذلك كان رومولوس[١] نفسه أحد الحذاق في فن العرافة؛ وتبعه فى ذلك ملوك الرومان الذين حرصوا على استشارة النبوءات عبر العرافين[٢]:

"Principio huius urbis parens Romulus non solum auspicato urbem condidisse, sed ipse etiam optimus augur fuisse traditur."
(Cic., De Divinatione I.ii. 3.)

"فمنذ البدء، فإن رومولوس مؤسس هذه المدينة لم يؤسسها فقط بناء على عرافة الطير، وإنما من المسلم به أنه هو نفسه كان عرافًا حاذقًا."

والراجح أن هذه الإشارة إلى رومولوس وإلى من جاءوا بعده من ملوك روما تشير إلى أن فنون العرافة في السياق الروماني كانت جزءًا لا يتجزأ من الحياة الدينية والسياسية للدولة، وساهمت في السمات المميزة للممارسات الدينية الرومانية[٣].

أما فيما يتعلق بعمل شيشرون "عن العرافة" De Divinatione، فقد تم تأليفه فيما بين ٤٥-٤٤ قبل الميلاد، وهو على هيئة حوار يضم كل من المؤلف ماركوس تولّيوس شيشرون Marcus Tullius Cicero، (١٠٦- ٤٣ ق.م.) وشقيقه كوينتوس Quintus بوصفهما شخصيتين تناقشان شرعية ممارسة العرافة، و تنقسم محاورة "عن العرافة" إلى كتابين يحتوي كل منهما على مقدمة خاصة به. في الكتاب الأول الذى دار على لسان كوينتوس، يحاول كوينتوس بشتى الطرق الإقرار بوجود فن العرافة، وعلى الأخص من خلال استدعاء عدد كبير من الأمثلة الخاصة بالنبوءات، سواء الرومانية أو غير الرومانية، وهى أمثلة لا يمكن التشكيك فيها بالنسبة إلى كوينتوس. وفي الكتاب الثاني

(1)Bannon, C. J., Brothers of Romulus, Princeton, 1997, p. 6.
(2) Cf., Cicero, De Divinatione I, 1. 2.
(3) Rawson, E. D., Intellectual Life in the Late Roman Republic, London, 1985, pp. 3-4; Wardle, D., Cicero: On Divination, Book 1, Clarendon Press, Oxford, 2006, p. 1.

يحاول شيشرون تفنيد حجج أخيه بمجموعة من الحجج الفلسفية والخطب الرومانية اللاذعة.(١).

ووفقًا لوجهة النظر التي ترى أن شيشرون بقصد تأييد نقد العرافة الذي قدمه شيشرون باسم ماركوس في الكتاب الثاني من عمله "عن العرافة"، فإن نية شيشرون هي إظهار أن "البشارة (قراءة الطالع) ليست لها قيمة إلهية، وأنما تم تأسيسها فقط لصالح الدولة". وإن كان هناك من يشكك في وجهة النظر التقليدية التي وفقًا لها يجب أن ننسب إلى شيشرون شكوكًا دينية مباشرة. على سبيل المثال، يؤكد بيرد Beard أن محاورة "عن العرافة"، لم يتم كتابتها كأطروحة من جانب واحد موجهة بشكل كلي ضد العرافة؛ وإنما قام شيشرون عن عمد بإعطاء كوينتوس حججًا مؤيدة للعرافة في الكتاب الأول، وبهذا فإنه اتبع تقاليد المدرسة الأكاديمية للفلسفة التى تترك للقارئ حسم رأيه بشأن الحالة الأكثر إقناعًا له(٢).

وقد مثل هذا سببًا في محاولة البحث عن صور ذلك الفن (العرافة) الذي قدم كوينتوس في الكتاب الأول من "عن العرافة" الأدلة والأمثلة الكافية لجعله فنًا منطقيًا مطلوب من جانب الدولة ومن جانب شعوب العالم القديم قاطبة، وليس من جانب الشعب الروماني فقط.

وعلى الرغم من صعوبة النظر إلى هذا العمل بمعزل عن بقية أعمال شيشرون الفلسفية؛ وكذلك على الرغم من عدم إمكانية الجزم بأن العرافة كانت موضوعًا ذا أهمية خاصة تجعلها موضع نقاش فكري في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، وأمام عدم إمكانية التقليل من أهمية الممارسات الخاصة بالعرافة داخل دين الدولة وخاصة داخل "الإطار" الديني الأوسع الذي نتج عن تفاعلات روما مع عالم البحر

(1) Cabrera, F., “Evidence and Explanation in Cicero's On Divination”, Studies in History and Philosophy of Science, Part A, December 2019, p. 2.
(2) Beard, M., ‘Cicero and Divination: The Formation of a Latin Discourse’, JRS 76, 1986, p. 35; apud: Frank Cabrera, op. cit., p. 2.

المتوسط[١]. فإنه كان على الباحث أن يعمل على تقديم صورة للعرافة عند شيشرون كما وردت فى الكتاب الأول من العمل المشار إليه وكذلك التمييز بين المصطلحات التى استخدمها شيشرون للدلالة على ذلك الفن الذي أولاه الرومان أهمية كبيرة حيث ربطوه بنشأة روما كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

في مقدمة الكتاب الأول، يبدأ شيشرون النص بتعريف العرافة على أنها "الشعور الاستباقى ومعرفة الأمور المستقبلية"، حيث يذكر:

“quam Graeci μαντικήν appellant ,id est
praesensionem et scientiam rerum futurarum.” (Cic., De Divinatione 1. i. 1)
"والذي أطلق عليه اليونانيون كلمة μαντική، وهي توقع ومعرفة الأمور المستقبلية."

بعد ذلك بوقت قصير، قام شيشرون بالتوضيح لنا على لسان كوينتوس أن "الأشياء المستقبلية" التي من المفترض أن تقدم العرافة معرفة واحدة عنها هي تلك الأشياء "التي يعتقد أنها تحدث بالصدفة" وهذا ما جاء في النص:

“id est
de divinatione ,quae est earum rerum ,quae fortuitae
putantur ,praedictio atque praesensio ,“ (Cic., De Divinatione 1. v. 9)
" هذا يكون عن العرافة التي تكون لهذه الأمور التي يُعتقد أنها توقع وتنبؤ بالصدفة."

وليست الأشياء التى يتوقعها أي خبير بشأن ما؛ مثلما يحدث من عالم الفلك الخبير بأمور الفلك من التنبؤ، بيقين افتراضي، بتاريخ الكسوف الشمسي التالي. فمثل هذه القدرات لا ينبغي اعتبارها عرافة، حيث يُعتقد عادة أنها تنطوي على فهم بعض القياسات الطبيعية وعلاقات السبب والنتيجة، وما يفعله الخبير هنا هو من وجهة نظر كوينتوس حكمة وعلم، أما ممارسة العرافة فتتطلب وجود الإله فى الأمر[٢].

(1) Guillaumont, F., ‘Cicéron et les techniques de l’haruspicine’, in Guittard, 1986, pp. 121–123.
(2)Cabrera, F., op. cit., p. 3.

ثانيًا: المصطلحات الخاصة بالعرافة طبقا للكتاب الأول:

وقد يكون من المناسب أن نبدأ بحثنا بعرض مفهوم المصطلحات التى استخدمها شيشرون في التعبير عن العرافة ومختلف الفنون التى تم استخدامها فى ممارسة العرافة.

يبدأ شيشرون محاورة "عن العرافة" والكتاب الأول منه بالتفريق بين مصطلحين مهمين عبر بهما الإغريق والرومان عن مفهوم كل منهما للعرافة والتنبؤ بالمستقبل؛ حيث ذكر شيشرون أن فن العرافة هو فن اتفقت على وجوده معظم الأمم وإن اختلفت فى طرق ممارسته؛ ويشير إلى أن الإغريق أطلقوا على ذلك الفن اسم μαντική[1] التي تعني في رأيه "القدرة على التكهن بعواقب الأمور"، وهذا التبصر ومعرفة الأحداث المستقبلية praesensionem rerum futurarum هما فى رأيه شيء رائع يمنح البشر قوة الاقتراب من القوى الإلهية quaque proxime ad deorum vim ، ثم يأتي بدوره إلى الرومان وقد أحسنوا اختيار اسم يعبر عن العرافة، حيث اشتقوا لها اسما من اسم الآلهة divi فقد أسموها بـ divinatio، أما الاسم الذى أطلقه الإغريق على ذلك الفن فلم يك مناسبًا بدرجة كبيرة، حيث يرى فيه أفلاطون[٢] أنه يشير إلى "المس– الخبل" أو "الجنون المؤقت a furore duxerunt "[٣].

(1)Johnston, S. I. and Struck, P. T. (eds.), Mantikê: Studies in Ancient Divination, Leiden, 2005, p. 10.

(2) Long, A. A., 'Cicero's Plato and Aristotle', in Powell, 1995, pp. 37–39.

(3) Cf., Cicero, De Divinatione I, 1.

في هذه الرسالة الفلسفية، كما هو الحال في أعماله الفلسفية الأخرى، يستمد شيشرون حججه بشكل رئيس من المصادر اليونانية، ولكنه يطورها بطريقته الخاصة التي لا تضاهى ويوضحها بأمثلة من تجاربه المتنوعة ومن مخزونه التعليمي الكبير وبصفته مناصرًا للأكاديمية الجديدة، كانت له الحرية في التشكيك في آراء المدارس الفلسفية الأخرى، ومقارنة الجدل بالحجة، واعتماد تلك النظرية التي بدت له أكثر توافقًا مع العقل. بعد دراسة شاملة ونزيهة لجميع الأدبيات الموجودة حول هذا الموضوع، من وقت إكسينوفون من كولوفون Xenophanes of Colophon، وهو فيلسوف من مدرسة

وفى بداية الفقرة الثانية يقر شيشرون باعتراف الجميع بوجود النبوءة:

“Gentem quidem nullam video neque tam humanam atque doctam neque tam immanem atque barbaram, quae non significari futura et a quibusdam intellegi praedicique posse censeat.”
(Cicero, De Divinatione I.i. 2.)

"وحتى الآن فإننى لم أعرف جنسًا من البشر متعلمًا كان أم أجنبيا جاهلا لا يقر بالأشياء المستقبلية ويصدق بإمكانية قراءة الطالع والتنبؤ به بواسطة البعض."

ونجده في بقية الفقرة يتحدث عن وجود العرافة عند الأمم القديمة: فقد وُجدت عند الآشوريين والكلدانيين والمصريين فنون متنوعة لممارسة العرافة وقراءة المستقبل؛ وهو ما سبقت الإشارة إليه.

وفي الفقرة الثالثة من الكتاب الأول يستخدم شيشرون المصطلحين augur و haruspex، وبالنسبة إلى المصطلح الأول نجد شيشرون يصف رومولوس بأنه "العراف الأفضل" optimus augur، أما المصطلح الثاني فيستخدمه عند الحديث عن اعتقاد الأجداد فى نجوع أو تأثير فن (إرشادات) المتنبئين in haruspicum disciplina, علاوة على ذلك، "بما أن أجدادنا اعتقدوا أن فن التكهن بالغيب كان له فعالية كبيرة في البحث عن الفؤول والنذر، بحثًا عن البشائر وتجنبًا لسوء عاقبة عمل ما لا ترضى عنه الآلهة؛ ومن أجل ذلك قام الرومان القدماء باقتباس

= إيليا Elea في القرن السادس قبل الميلاد، إلى وقت كراتيبوس Cratippus في عصره، بما في ذلك تعاليم فيثاغورس وسقراط والمشائيين والإبيقوريين والرواقيين، أصبح مقتنعًا بأن الإيمان المقبول عمومًا في العرافة كان خرافة "يجب أن تمزقها الجذور". لقد كان هو نفسه نذيرًا، وفي كتابه "عن الجمهورية" كتب لصالح الحفاظ على طقوس الفأل والنبوءة. لكن هذه الممارسات تم وضعها في الدستور الروماني ودافع عن احترامها بسبب إيمانه بطاعة القانون ولأنه كعضو في الحزب الأرستقراطي كان يعتقد أن التبذير والرعاية أفضل وسيلة للسيطرة على تجاوزات الديمقراطية.

فن العرافة في مجمله من إتروريا Etruria، خشية أن يظهر أنهم قد تجاهلوا أي نوع من العرافة[1]:

"Omnem hanc ex Etruria scientiam adhibebant, (I. i.3)
" وكانوا يستخدمون هذا الفن كله من إتروريا"

وقد كان اللفظ augurium [2] (الكهانة، العرافة، التنبؤ) يستخدم أول الأمر عندما يأتي الطائر فجأة دون انتظار من الفاحصين، وهو ما عبر عنه سيرفيوس* في تعليقه على البيت ٥٢٢ من الكتاب الخامس من إنيادة فرجيليوس:

"Augurio monstrum 'augurium' dictum quasi 'avigerium', id est quod aves gerunt. et bene de sagitta dixit 'augurium', quae habet pennas: quamquam omnia ad unum congesserit locum: monstrum, augurium, auspicium, oraculum." (Servius, In Vergilii Aeneide comentarii, 5, Ad v. 52٣)

" يُقال إن الفأل بالتطير، هو من avigerium ، لأنه كما يتصرف الطير، وقد قال بشكل جيد عن السهم إنه augurium لأنه يمتلك ريش: ومع ذلك فإنه قد حمل كل الأشياء إلى مكان واحد: الفأل والتطير والعرافة والنبوءة "

والراجح أن كلام سيرفيوس يشير إلى مجيء الطائر بطريقة عفوية دون تدخل من العرافين، وهو ما يتضح مما ورد عند فرجيليوس فى الإنيادة، "حين يتحدث عن مسابقة رمى السهام التي دعى إليها آينياس وتبارى فيها أبطال ماهرون في رمي السهام، وكان آينياس قد ربط طائر حمامة في أعلى صارى السفينة وأخفق اثنان وجاء الثالث بدوره

(1)Haack, M. -L., 'Haruspices publics et privés; tentative d'une distinction', RÉA 104, 2002, 111–115; Cf., Cicero, De Divinatione I, 3.

(2) Giovannini, A., 'Les Livres auguraux', in Moatti, 1998, 105–107; Cf.Cicero: De Senectute De Amicitia De Divinatione. With An English Translation. William Armistead Falconer. Cambridge. Harvard University Press; Cambridge, Mass.,London, England. 1923, p. **223;** Oxford Latin Dictionary, s.v.augurium.

* سيرفيوس Marius Servius Honoratus نحوي روماني في القرن الرابع الميلادي ومن أهم أعماله كتاب "تعليقات على أعمال فيرجيليوس". انظر: OCD. S.v. Servius.

وألقى سهمه فإذا بالحمامة التي كانت تطير حرة بعد أن تسببت رمية الثاني فى فك عقدة قيدها، تقع على الأرض ومعها السهم الذي رُميت به؛ وهنا صوب أكيستيس Acestes♣ سهمه عاليًا في الهواء مستعرضًا مهارته، وأردف الشاعر قائلًا:

"Hic oculis subito obicitur magnoque futurum
augurio monstrum;"(Verg., Aen., V, 522-23)

"وهنا يظهر فجأة أمام عيونهم فأل عظيم ، قُدر له أن يكون ذا أهمية بالغة [١] "

ويظهر من الأبيات التالية على البيتين السابقين أن آينياس رحب بالنبوءة وقدم الهدايا لمن كان سببًا فيها (أكيستيس) وأخبره أن جوبيتر، ملك السماء العظيم، قد شاء من خلال هذه الدلائل talibus auspiciis أن يحظى أكيستيس بتكريم ليس له مثيل[٢].

لقد كانت منظومة العرافين هيئة دينية منظمة مهمة معروفة بخبرتها في الإقرار بإرادة الآلهة من خلال "العرافة" (auspicia). لقد استخدم الخبراء المعروفون باسم "العرافين"، فن العرافة auspicia لتفسير الإشارات الإلهية من خلال الطير. والمصطلح auspicia مشتق من جذوره اللاتينية "auspicium" من "ausex" التي تعني حرفيًا "الشخص الذي ينظر إلى الطير" أو "العراف بالطير"، لذا فإن معنى "عرافة" auspicia هو:

١. ملاحظة أفعال الطير وقراءة الطالع من خلالها.

٢. اكتشاف البشائر خاصة من خلال رحلة الطير ومن خلال تناول الطير للطعام.

♣ أكيستيس Acestes، شخصية أسطورية وهو مؤسس وملك Segesta أو Egesta في صقلية وهو من أصل طروادي: انظر OCD. S.v. Acestes.

(١)عبد الله المسلمي، فرجيليوس، الإنيادة، الجزء الأول، المركز القومي للترجمة، ٢٠١١، ص ٢٥٤.

(2)Vergilius, Eclogues, Georgics and Aeneid i-vi, Fairclough, H. Rushton, Verg., Aen., V, 530-35, p. 482.

لذلك كانت الكهانة auspicia عبارة عن "مراسم عرافة"، حيث كانت الآلهة طبقًا للمعتقدات الرومانية ترسل إشارات من خلال الطير يمكن تفسيرها ببشارة أو نُذر من خلال مراقبة اتجاه حركة الطائر عند طيرانه وطبقًا لأنواع الطير. وهناك من يرى أن auspicia لم تكن معنية بالمستقبل بشكل مباشر، وأنما كانت تركز على توفير إرشادات إلى الطريقة المناسبة التي تمكن الرومانى للعيش عيشة صحيحة. وعلى أية حال، كانت رؤية العراف يتم القبول بها، ولا يمكن الشك في تفسيره للنبوءة، حيث إنها تمثل رؤية الآلهة(١).

ويتضح مما ورد عند فيستوس(٢)Festus أن العرافة auspicium كانت تحدث من خلال الطير، إما من تغريده أو طيرانه؛ حيث ورد الآتى:

"Oscines aves Apppius Claudius esse ait, quae ore canentes faciant auspicium, ut corvos, cornix, noctua, aut ,quae alis ac volatu; ut buteo, sanqualis, aquila, immissulus, vulturius."

(Sex. Pompeius Festus: p. 197, ll. 8-12)

"إنه الطير ينبئنا تغريده أو طيرانه بنبوءات إلهية؛ ويقال إن أبيوس كلاوديوس(٣) هو الشاعر الذى كانت أشعار (ترانيم) النبوءات تخرج من فمه، مثلما يفعل الغراب والديك والبومة الصغيرة. أو تلك التى تطير بأجنحتها فى الهواء؛ مثل الصقر والعُقَّاب والنسر والطائر المنطلق immissulus (الملكي)."

(1) Siddiq Ali Chishti, Muhammad Ifzal Mehmood, "The Nature and Function of auspiciain Roman Religion and Roman Political System", (IJSR) Volume 4 Issue 7, July 2015, p. 2697. www.ijsr.net

(٢) سيكستوس بومبيوس فيستوس Sextus Pompeius Festus: نحوي روماني في القرن الثاني الميلادي، يتكون العمل الذي قدمه من ٢٠ كتابا وقد فقد النصف الأول منها De Significatu Verborum.

(٣) أبيوس كلاوديوس: رجل دولة وسياسي روماني وقنصل، وهو أحد أعضاء لجنة القضاة العشرة التي أصدرت قوانين الألواح الاثنى عشر. أنظر: O C D, s.v. Appius Claudius

من الواضح إذًا أن اللفظ auspicium [١] كان يستخدم فيما تحدث فيه المشاهدة عمدًا، ولكن هناك من يقول إن اللفظين(augurium و auspicium) قد أُستخدما فيما بعد للدلالة على معنى واحد في كل الحالات، ويبدو أن لفظ "العراف، المتنبئ" haruspex لم يكن يستخدم في الشخص الذي يتفقد الطير بالنسبة إلى الطير الحي فقط، وإنما كان يستخدم أيضًا ليعبر عمن يقوم بعملية التكهن عبر فحص أحشاء الطير المذبوح وكذلك الميت. وبهذا تصبح كلمة haruspex تقترب في معناها من فن العيافة * عند العرب، وهو التكهن بالغيب عبر استنباء الطير بمراقبة تغريده وصياحه وتحليقه في الجو؛ أما بالنسبة إلى لفظ augurium فقد كان يشتمل على أنواع متعددة من العرافة؛ وهى عرافة تعتمد على شواهد السماء من رعد وبرق ونجوم ساقطات ونحو ذلك، وعرافة تعتمد على شواهد الطير في غنائه وصياحه وجهة طيرانه وتساقط الحبوب من أفواهه وهو يتناول طعامه، وعرافة تعتمد على شواهد الحيوانات بمراقبة

---

(١) Auspicium تعني حرفيًا "مشاهدة الطير" (specio avis,)، ولكن تم تطبيق المصطلح على أنواع مختلفة من العرافة، هى طبقًا لـ فيستوس؛ خمسة أنواع من العرافة التنبؤية:

١- من السماء (ex caelo ، معظمها رعد وبرق.)

٢- من الطير (ex avibus ؛ ملاحظة عدد وموضع طيرانها وتغريدها وملاحظة أيضًا تغذية الطيور)

٣- من الدجاج المقدس (ex tripudiis ؛ وكان هذا الدجاج يظل حبيسًا في قفص بدون طعام ويصبح جائعًا؛ وعندما يقدمون له الطعام كان الطعام يتساقط من مناقيرها أثناء تناولها له، وتصبح هذه الإشارة فألا طيبًا sollistimum auspicium).

٤- من تفقد رباعي الأرجل (ex quadrupedibus ، على سبيل المثال: حال أكل الذئب للعشب).

٥- من الحوادث غير العادية والمهددة (ex diris). وفى كل حالة لم تتنبأ الآلهة بالمستقبل، ولكنها عبرت فقط عن موافقتها أو عدم موافقتها على إجراء إما متصور أو قيد التنفيذ.

Cf. Schäublin, C., 'Ementita auspicia', WS 20, 1986, pp. 165–67; See, Oxford Classical Dictionary,(auspicium).

* العيافة: إثارة الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها: أنظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، أنظر تحت كلمة العيافة.

مسير ذوات الأربع والزواحف وملاحظة أصواتها في مكان بعينه، وعرافة تعتمد على النذر الزاجرة، من صرير الفأر أو ضجيج يحدثه سقوط عصا في معبد يسوده السكون ونحو ذلك من ظواهر غير مألوفة، وتشمل كذلك نبوءات وحي أبولّون Apollo وفحص أحشاء الحيوانات. وإن كانت الكلمة تُطلق على استنباط النبوءة من خلال ما يتعلق بالطيور، ولم ترد عند شيشرون بمعنى استنباء البرق إلا مرة واحدة.(١)

وقد لعبت العرافة دورًا مهمًا في إطار دين الدولة: فمن بين طبقات الكهنة الثلاث الرئيسة، تم تكليف اثنين منهم بالإشراف على مجالات العرافة: العرافون augures ومجلس الخمسة عشر[2] Quindecim viri sacris faciundis . بالإضافة إلى ذلك،

(١) وهو ضرب من الكهانة والتنبؤ مقيد بملاحظة حركات الطير، والحيوانات ودراسة أصواتها والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، فهي زجر الطير وتنفيرها وإرسالها، ثم التفاؤل أو التشاؤم. والفرق بين العيافة والطيرة أن العيافة قد ينشأ عنها تفاؤل وتَيَمُّنٌ، وقد ينشأ عنها تشاؤم، أما الطيرة فلا ينشأ عنها إلا تشاؤم. وأن العيافة تكون بالطير فقط، أما الطيرة فتكون بالطير والوحش والزمان والمكان والأشخاص والأرقام، وغير ذلك، وأن الطيرة قد لا يعمد إليها الإنسان، بل قد توافيه وتصادفه دون أن يعمد إليها، بخلاف العيافة، فإنها تقصد، حيث تُزْجَر الطيرُ، وينشأ عن ذلك ما ينشأ من تفاؤل، أو تشاؤم، وأن العيافة والطيرة يتفقان في تأثيرهما في القلوب، فهما قد يوجبان إمضاءً أو رَدًا.

https://islamic-content.com/dictionary/word/7222, 15/ 10/ 2020, 7:00 pm.

(2) Scheid, J., ‘Les Livres Sibyllins et les archives des quindécemvirs’, in Moatti, 1998, 11–14.

* Quindecim viri sacris faciundis "مجمع الكهنة " مكون من خمسة عشر عضوا؛ ذو مهام كهنوتية. ومن أبرز هذه المهام القيام بحراسة كتب العرافة والكتب المقدسة الأخرى التي استشاروها وفسروها بناءً على طلب مجلس الشيوخ. أشرف هذا المجمع أيضًا على عبادة أي آلهة أجنبية تم جلبها إلى روما. وقد كانت هذه المهام المقدسة، فى الأصل، تؤدى من خلال رجلين من النبلاء (duum viri أو duo viri). تم زيادة عددهم إلى عشرة بواسطة قانون Licinian-Sextian في عام ٣٦٧ قبل الميلاد، وهو القانون الذي يتطلب أيضًا أن يكون نصف الكهنة من العامة. وخلال منتصف الجمهورية، تم قبول أعضاء المجمع من خلال الاختيار المشترك. وفي مرحلة ما من

العرافين haruspices الذين امتد عملهم إلى التعامل مع البرق والعلامات وفحص الأحشاء[1]. وقد تمتعت هذه الهيئات الكهنوتية بسلطة واسعة، حيث كانت القوانين تمنع أي فرد من ممارسة السلطة السياسية خارج الحدود التي وضعتها النخبة في مجلس الشيوخ، كما كان الغموض الذي أحاط بممارسة العرافة يحكم جميع التجمعات التشريعية والانتخابية، وكان من الممكن من خلاله إثارة الرعب في نفوس الناس من خلال تأويل بعض الظواهر الطبيعية مثل البرق أو الزلازل[2].

كما كانت العرافة وسيلة لتوفير التوجيه العملي للأفراد والجماعات، وطمأنتهم في أوقات الأزمات أو القرار من خلال تأكيد وجود آلهتهم وإحسانهم واهتمامهم بها. وهى طريقة جيدة كان يمكن من خلالها تجنب الذعر العام من خلال التشاور الخاص بالعرافة من قبل الدولة، وبالتالي استعادة الثقة في مؤسسات الدولة وإدارتها. لقد كانت العرافة في دين الدولة معنية فقط برفاهية المجتمع وليس رفاهية الأفراد؛ ولم يكن يوجد بين الهيئات الكهنوتية عند الرومان ما يعادل نبوءة دلفي التي كان من الممكن للمواطنين الأفراد الذهاب إليها للبحث عن إرشادات تهديهم لحل مشكلات ألمت بهم وتوجيهات تجنبهم ما قد يلم بهم من أخطار.[٣]

وتشير بعض الأدلة إلى أن آراء النخبة فيما يتعلق بالعرافة تختلف عن آراء الناس العاديين، على سبيل المثال، الأهمية المختلفة التي يعطيها شيشرون للطير في خطبه

القرن الثالث قبل الميلاد، بدأ انتخاب العديد من الكهنوتات، بما في ذلك على الأرجح quindecim viri من خلال القبائل المنتخبة:

OCD, s.v. Quindecim viri sacris faciundis.

(1) Briquel, D., 'Art augural et Etrusca Disciplina: Le Débat sur l'origine de l'augurat romain', in Guittard, 1986, pp. 68–71.

(2) Price, S. R. F., Rituals and Power: The Roman Imperial Cult in Asia Minor, Cambridge, 1984, pp. 11-15; Gradel, I. , Emperor Worship and Roman Religion, Oxford, 2002, p. 261.

(3) Liebeschuetz, J.H.W.G., Continuity and Change in Roman Religion, Oxford, 1979, pp. 7-17.

الموجهة إلى الشعب كمعارض لمجلس الشيوخ. وفي نفس الوقت تتبع موقفه المتشكك في أي عنصر خاص بالتكهن بالغيب في دين الدولة في روما، وكذلك قبول تشويهه للأنشطة الخاصة بالتكهن بالغيب التي حدثت خارج دين الدولة فهى في رأيه مجرد خرافات، وقد كان من بين أعضاء النخبة، من كان متحمسًا وممارسًا للعديد من أشكال العرافة، حيث كانت العرافة تساعد النخبة في الحفاظ على السيطرة على الناس؛ كما كانت العرافة كما تمارسها الهيئات الدينية الرسمية تضمن تماسك الدولة.(١)

ثانيًا: العرافة وطرقها عند شيشرون:

وكما سبق أن أشرنا، فإن شيشرون يشير في بداية الكتاب الأول إلى قدم الاعتقاد فى العرافة وأن علم العرافة انتقل إلى الرومان منذ زمن سحيق وأنه قد نال استحسان الشعب الروماني وهذا العلم هو معرفة الغيب والأحداث المستقبلية ويؤكد على لسان أخيه كوينتوس أن اليونانيين قد أطلقوا عليه كلمة μαντική [2] – التي تعني في رأيه "القدرة على التكهن بعواقب الأمور"، وهذا التبصر ومعرفة الأحداث المستقبلية وهذا العلم يُقَرِب البشر من القوى الإلهية[3]، ولذلك اتخذ الرومان اسمًا له مستمدًا من كلمة divi [4] وهي بمعنى "الآلهة" عند الرومان[5]، وأخذ يحدد جوانب تفوق الرومان على اليونانيين في أمر الاسم المعبر عن النبوءة وعلاقته بالآلهة، حيث يقول:

“Itaque ut alia nos melius multa quam
Graeci, sic huic praestantissimae rei nomen nostri a

(1) Momigliano, A. D., ‘The Theological Efforts of the Roman Upper Classes in the First Century’, CP 79, 1984, pp. 199–201.

(2) Montero, S., ‘Mánticainspirada y demonología: los Harioli’, AC 62, 1993, pp. 115–116; Cf. Liddell and Scott, s.v. μαντικός: ἡ μαντικήτέχνη, وهى فن التنبؤ

(3) Cf., Cicero, De Divinatione, 1.I.1.

(4)Scheid, J., ‘La Parole des dieux: L’Originalité du dialogue des Romains avec leursdieux’, Opus 6–8, 1987–9, 125–26.; cf. Oxford Latin Dictionary, s. v. divus.

(5)North, J. A., " Diviners and Divination at Rome", in Beard and North, 1990, pp. 51-53; Badalì, R., " Il proemio de De Divinatione", RCCM 18, 1976, pp. 31-32.

divis, Graeci, ut Plato interpretatur, a furore duxerunt." [1]
(Cicero, De Divinatione, I. I.1)

"إننا أفضل بكثير من اليونانيين في أشياء كثيرة أخرى، هكذا بالنسبة إلينا فإننا تفوقنا عليهم فى أمر هذا الاسم الذي قمنا باشتقاقه من اسم (كلمة) الآلهة، [2]

بينما استمده اليونانيون من المس (الجنون المؤقت) (furor)[3]، كما فسره أفلاطون، حيث يذكر أفلاطون أن الهوس أو الجنون لم يكن شيئا مخجلا أو معيبا وقد أشتق اليونانيون القدامى منه اسم لأجمل الفنون وهو فن التنبؤ بالغيب أو النبوءة ويعتبرون الهوس شيئا رائعا إذا كان مصدره إلهي، وفيما يتعلق برؤية أفلاطون بأن فن العرافة استمده اليونانيون من المس أو الجنون المؤقت؛ فقد ورد ذلك في محاورة فايدروس وذلك على لسان سقراط عندما كان يتحدث عن أنواع الجنون المؤقت أو المس الأربعة التى تأتي من لدن الآلهة؛ حيث قال ما يلي:

εἰ μὲν γὰρ ἦν ἁπλοῦν τὸ μανίαν κακὸν εἶναι, καλῶς ἂν
ἐλέγετο: νῦν δὲ τὰ μέγιστα τῶν ἀγαθῶν ἡμῖν γίγνεται διὰ
μανίας, θείᾳ μέντοι δόσει διδομένης. ἥ τε γὰρ δὴ ἐν Δελφοῖς προφῆτις
αἵ τ᾽ ἐν Δωδώνῃ ἱέρειαι μανεῖσαι μὲν πολλὰ
δὴ καὶ καλὰ ἰδίᾳ τε καὶ δημοσίᾳ τὴν Ἑλλάδα
ἠργάσαντο, σωφρονοῦσαι δὲ βραχέα ἢ οὐδέν: καὶ ἐὰν δὴ λέγωμεν Σίβυλλάν
τε καὶ ἄλλους, ὅσοι μαντικῇ χρώμενοι
ἐνθέῳ πολλὰ δὴ πολλοῖς προλέγοντες εἰς τὸ μέλλον ὤρθωσν,
μηκύνοιμεν ἂν δῆλα παντὶ λέγοντες.
(Plato, Phaedrus 244b)

(1) Cf., Cicero, De Divinatione, 1, I. 1.
(2) Wardle, D., in Rajak, T., and Clark, G., (eds.), Philosophy and Power, (Oxford, 2002), pp. 181-183.
(3) Plato, Phaedrus, Stephanus page 244, c, 5:
ὅτι καὶ τῶν παλαιῶν οἱ τὰ
ὀνόματα τιθέμενοι οὐκ αἰσχρὸν ἡγοῦντο οὐδὲ ὄνειδος μανίαν·
…… τῶν παρόντων κακῶν εὑρομένη.

– في هذه الجزئية يدافع سقراط عن حالة المس أو الجنون المؤقت أو الجذب، وهذه حالة يتكشف عنها أو يمكن أن يتكشف عنها وحي الآلهة، ولم يعتبر القدماء الجنة شيئا قبيحا وتُطلق هذه الكلمة على فن التكهن بالغيب وهي خير الفنون.

"لو أنه قبل ببساطة إن المس (الجنون المؤقت) يحمل الشر في طياته؛ لكان هذا سليما؛ لكن أعظم الطيبات تأتينا من خلال المس (الجنون المؤقت)، عندما يأتينا فعلا كهبة إلهية. فالمتنبئ في ديلفي والكاهنات في دودونا قد صنعوا الكثير والجميل لبلاد اليونان سواء فى السر أو على مرأى من الناس لأنهم كانوا في حالة من الجنون، لكن حال كون صوتهم من رأسهم لقدموا القليل أو اللاشئ.

أما إذا تحدثنا عن العرافة السيبيلية وغيرها، الذين تنبأوا بالكثير وللكثيرين من خلال العرافة التى تحدث نتيجة للإلهام،فإننا يجب أن نقضى وقتا طويلا في الحديث عن كل شئ."

ويستمر أفلاطون فى حديثه عن علاقة العرافة بالجنون، حيث يذكر أن المس أو الجنون لم يكن شيئا مخجلا أو معيبا وقد أشتق اليونانيون القدماءمنه اسما لأجمل الفنون وهو فن التنبؤ بالغيب أو النبوءة ويعتبرون المس شيئا رائعا إذا كان مصدره إلهيًا، وأنهم في أيامه أخذوا كلمة μανία وأدخلوا عليها حرف التاو وسموها بـ μαντικὴ أي فن النبوءة ([1]) . وعن البحث في أحداث مستقبلية بواسطة زجر الطير أو عن طريق علامات أخرى ليقدم للبشر بعض المعلومات بعد التعقل في هذه المعلومات وقد سماه القدماء فن العيافة οἰωνιστικὴ ، وكان اليونانيون يعتبرون أن الهوس الصادر عن الإله أسمى من حكمة البشر حيث أنه عندما يُصيب الجنون أو الهوس أي فرد فإنه يلجأ إلى الصلاة وعبادة الآلهة وكذلك ينجو ويقدم الهوس له وسيلة تحميه من جميع المصائب التي تحيط به. [٢]

([1]) Cf., Plato, Phaedrus 244c.

انظر أيضًا: أميرة حلمي مطر، محاورة فايدروس لأفلاطون أو عن الجمال، مكتبة دار الغريب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ص ٥٩-٦٠.

(٢) أميرة حلمي مطر، محاورة فايدروس لأفلاطون أو عن الجمال، مكتبة دار الغريب، القاهرة، ٢٠٠٠. ص ص ٥٩-٦٠

ويذكر شيشرون أن الآشوريين قد تمرسوا على فن التنجيم نظرًا لأنهم كانوا يسكنون في سهول واسعة تمكنهم من رؤية السماء على اتساعها وانفتاحها عليهم من كل جانب، مما مكنهم من ملاحظة مسارات النجوم وتتبع تحركاتها، وقد توارثت أجيالهم سبر غور النجوم عن آبائهم الأولين.[1] و يشير شيشرون إلى أن الكلدانيين قد طوروا هذا العلم من خلال المراقبة المستمرة للنجوم، بحيث يمكنهم من التنبؤ بما سيحدث لأي إنسان، ولأي مصير ولد كل منهم؛ وأن أهل كيليكيا وأهل بيسيديا والشعوب المجاورة لهم كانوا يتمسكون بأن المستقبل يتم الكشف عنه من خلال طيران الطير وتغريده، ويعتبرون دلالاته أكثر العلامات الموثوق فيها بدرجة كبيرة[2].

وقد سبقت الإشارة إلى أن رومولوس بالإضافة إلى قيامه بتأسيس روما[3] طبقًا لنبوءة حصل عليها، فإنه كان هو نفسه عرافًا ماهرًا [4]، ويؤكد شيشرون أن كل من كانت لديه القدرة على ممارسة العرافة كان يمتلك قدرة عظيمة، حيث يقول:

« Cumque magna vis videretur esse et impetriendis consulendisque rebus et monstris interpretandis ac procurandis in haruspicum disciplina, »
(Cicero, De Divinatione, I, II. 3)

" وحيث بدا أنه توجد قدرة عظيمة لدى كل من يقومون بالتبصر في الأمور
وأخذ مشورة الآلهة ضمن منظومة التطيُر."

ويضيف شيشرون على لسان كوينتوس أن هناك طريقتين لممارسة العرافة، ويتم من خلالهما تحريك أرواح أولئك الكهنة (العرافين)،[5] وهما الهذيان (unofurente)

(1) Barton, T., Ancient Astrology, London, 1994, p. 11; Hunger, H. and Pingree, D., Astral Sciences in Mesopotamia, Leiden, 1999, p. 13; cf., Cicero, De Divinatione, I.I.2.
(2) Linderski, J., 'Watching the Birds: Cicero the Augur and the Augural Templa', CP 81, 1986 b, pp. 330–332; cf., Cicero, De Divinatione, I.I.2.
(3)Bannon, C. J., op. cit, pp. 2-4.
(4)Erskine, A., Troy between Greece and Rome, Oxford, 2001, pp. 30-36.
(5)Harris, W. V., 'Roman Opinions about the Truthfulness of Dreams', JRS 93, 2003, 18–21.

والأحلام [1] (altero somniante) وقد تضمنت الأشعار التى احتوتها الكتب السيبيلية[٢] هذا النوع من التكهن المصحوب بالهذيان، ومن أجل تفسير هذه الأشعار السيبيلية فقد تم اختيار عشرة مفسرين من الدولة وكانت الدولة تمنحهم تصريحًا بالتنبؤ[3] ، كما ورد في الفقرة التالية:

“decem interpretes delectos e civitate esse voluerunt.
Ex quo genere saepe hariolorum etiam et vatum
furibundas praedictiones, “
(Cicero, De Divinatione, I, II. 4)

" لقد أرادوا أن يوجد عشرة مفسرين مختارين من قِبَل الدولة، وفي كثير من الأحيان من ذلك النوع من المتنبئين والعرافين جاءت النبوءات المصحوبة بالجنون والنبوءات التكهنية."

(1) Cicero, De Divinatione, 1. 4.3.

(٢) كتب العرافة Libri Sibyllini، هي عبارة عن مجموعة من الأقوال الشفوية المنظومة في البحر السداسي اليوناني، والتي، وفقًا للتقاليد تم شراؤها من خرافات في العصور القديمة، كن يتمركزن في أماكن مقدسة عريقة، مثل دلفي، من قبل تاركوينيوس سوبربوس Superbus Tarquinius آخر ملوك روما، وتم استشارتها والبحث فيها من قبل الكهنة عما تشير إليه النذر وذلك في الأزمات الخطيرة عبر تاريخ الجمهورية والإمبراطورية الرومانية. وبقيت شذرات منها فقط، وفُقدت البقية أو دُمرت عمدًا، وتُنسب إلى الكاهنة أو العرافة اليونانية القديمة سيبولّا Σίβυλλα التي كانت تشرف على عرافة معبد الإله أبولّون في منطقة دلفي. ولا ينبغي الخلط بين كتب العرافة وبين ما يُسمى Oracles Sibyllinae ، وهى اثني عشر كتابًا من النبوءات كان يُعتقد أنها من أصل يهودي– مسيحي: انظر:
https://penelope.uchicago.edu/Thayer/E/Roman/Texts/secondary/SMIGRA*/Sibyllini_Libri.html

(3)Parke, H. W., Sibyls and Sibylline Prophecy in Classical Antiquity, London, 1988, pp. 190-215.

وقد ارتبط وجود العرافين بوجود الآلهة، فالعرافة الحقيقية لا توجد إلا مع وجود الآلهة، ففي حال وجود آلهة، فهناك من يستطيع أن يمتلك القدرة على التكهن بالغيب[1] ؛ ويتضح هذا من الفقرة التالية:

“Ego enim sic existimo, si sint ea genera divinandi vera, de quibus accepimus quaeque colimus, esse deos, vicissimque,si di sint, esse qui divinent. (Cicero, De Divinatione, I, v. 9)

" لأنني في الواقع أعتقد بوجود الآلهة، ولذا هناك أنواع حقيقية من العرافة، ومن تلك {الأنواع} ما نتقبله ونمارسه؛ حقا؛ إذا وجدت الآلهة، يوجد من يقرأون الطالع."

ويشير كوينتوس إلى أنه يوجد نوع من التكهن بالغيب يعتمد على الفن الذي يكتسبه البشر وآخر يعتمد على الطبيعة التي يحيا فيها هؤلاء كما هو واضح من النص:

“Duo sunt enim divinandi genera, quorum
alterum artis est, alterum naturae.“
(Cicero, De Divinatione, I, vi. 11)

" في الواقع يوجد نوعان من العرافة: الأول يعتمد على الفن، والآخر على الطبيعة."

وفيما يبدو أنه إقرار من شيشرون بوجود العرافة عند سائر الأمم، فإننا نجده يجعل أخاه كوينتوس يتساءل هل من أمة أو دولة خلا فيها مبشر ونذير؟ أو هل من أمة لم تتأثر بتنبؤات أولئك الذين أوتوا سبل تأويل كل ما يفحصونه من أحشاء حيوانات أو ظواهر جوية أو أحلام عفوية أو قرعة يجرونها مثل ضرب الأقداح وغيرها؛ وجميعها كانت وسائل تكهن ورجم بالغيب عند القدماء؛ [2]حيث يقول:

« Quae est
autem gens aut quae civitas, quae non aut extispicum aut monstra aut fulgora interpretantium aut augurum aut astrologorum aut sortium (ea enim fere artis sunt) aut somniorum aut vaticinationum (haec enim duo naturalia putantur) praedictione moveatur? Quarum quidem rerum eventa magis arbitror quam

(1) Scheid, J., ‘La Parole des dieux, 1989, pp. 127-128.
(2)Linderski, J., "The Augural Law", ANRW ii/ 16. 3, Berlin, 1986 a, 2227-2228; Wardle, D., op. cit., p. 127.

causas quaeri oportere. Est enim vis et natura quaedam, quae tum observatis longo tempore significationibus, tum aliquo instinctu inflatuque divino futura praenuntiat." (Cicero, De Divinatione, I. Vi. 12 .)

" هل توجد أية أمة أو دولة لم تتأثر بتنبؤ أولئك الذين يفحصون الأحشاء أو بالفأل السيء أو الذين يفسرون البرق أو من العرافين أو من المنجمين أو من البخت (لأنهم تقريبًا من الفن) أو بالأحلام أو النبوءات (لأنه يوجد نوعان يُعتبرا من الأشياء الطبيعية)؟ أعتقد أن حدوث مثل هذه الأشياء يجب أن يتم فحصها أكثر من أسبابها. لأنه توجد قوة وخصوصية من نوع ما، وهي التي تتم عندئذ من خلال ملاحظة العلامات لمدة طويلة، ومن ثم من خلال مؤثر من نوع آخر ومن خلال إلهام إلهي ويأتي بنبوءة مستقبلية."

وفي نهاية هذه الفقرة (الفقرة السادسة من الكتاب الأول)، يشير شيشرون إلى عدم جدوى الإلحاح على الاستفسار عما إذا كان نعيق الغراب الأبيض إلى اليسار ونعيق غراب أسود آخر إلى اليمين هو أمر إلهي صدر عن جوبيتر كبير الآلهة، وهو ذلك التساؤل الذي حاول كارنياديس[1] أن يسأل عنه مرارًا؛ وتبعه في ذلك

(1) كارنياديس Καρνεάδης : هو من سفسطائي نهاية القرن الثالث وأوائل القرن الثاني ق. م. (٢١٤– ١٢٩ ق.م.)، وُلد في مدينة قورينة الليبية التي كانت تتحدث اليونانية في ذلك الوقت تعلم كارنياديس الفلسفة في أثينا. و كان يعتقد بعدم وجود معيار مطلق للحقيقة، وتقبل المبدأ القائل بأن أي عمل هو صحيح إذا كان بالإمكان الدفاع عنه بالمنطق، وقد شمل هذا الجرائم البشعة التي ترتكب لدوافع منطقية، فقوَّض كارنياديس مبدأ الرواقيين القائل بأن العقل هو أكبر هبة منحها الإله للجنس البشري. وتشبه آراء كارنياديس حول اختبار الانطباعات الحسية للتحقق من صحتها ومصداقيتها كموجهات للعمل معتقدات البراجماتية الحديثة. أسس وتزعم كارنياديس مدرسة تسمى الأكاديمية الجديدة أو الثالثة من عام ١٥٥ ق.م وحتى وفاته.
O. C. D., s.v. Carneades

بانايتيوس[1]، ويرجع شيشرون السبب في ذلك الطلب الخاص بعدم فاعلية طرح مثل هذا التساؤل إلى أن مثل هذه الإشارات (العلامات) قد تمت ملاحظتها لفترة غير محدودة، وتم تحديد نتائجها، وكذلك تدوينها[٢].

ويؤكد شيشرون على لسان كوينتوس على وجود أشياء يمكن أن تكون عصية على الفهم أمام البشر؛ فعلى الرغم من تمتع الضفادع، وهي تجوب المياة الراكدة وتحركها بنقيقها، بقدرة ما على التنبؤ بالغيب محذرة من يستطيع فهمها من خطر قادم؛ إلا أنه ليس هناك من يقتنع بأن الضفادع لديها هذه البصيرة:[٣]

« Quis est, qui ranunculos hoc videre suspicari possit? »

" من يمكنه توقع أن الضفادع قد ترى هذا (لديها هذه البصيرة)."

ويشير شيشرون في الفقرة (التاسعة، ١٦) من الكتاب الأول إلى أن هناك من يؤمن بوجود دلائل نبوئية للظواهر الجوية التي تحدث قبل هطول الأمطار، فإنه لا يعلم كنهها وفنياتها، مثلها في ذلك مثل إيمانه بوجود ترياق في سم الثعبان ودواء ملين في لحاء الأشجار، وهو ما لا يمكن لأحد إنكاره، وأنما لا يدعى الكثيرون معرفة أسباب ذلك، وهو ما ينطبق على كثير من أنواع العرافة، فالكل يؤمن بوجود العرافة، ولكن لا يعلم طرقها وتأويلها إلا العالمون ببواطن الأمور؛ فلا شك فى وجود قيمة تنبؤية للبرق:

---

(1) بانايتيوس Παναίτιος الرودي (نحو ١٨٥ – ١١٠ قبل الميلاد): هو فيلسوف رواقي ينسب إلى جزيرة رودس. تتلمذ بانايتيوس على ديوجينيس السلوقي وأنتيباتور من طرسوس وذلك في أثينا قبل أن ينتقل إلى روما حيث بذل جهدا كبيرا من أجل إدخال المذهب الرواقي إلى المدينة، وذلك بفضل رعاية سكيبيو إيميليانوس. وبعد وفاة سكيبيو عام ١٢٩ قبل الميلاد، عاد بانايتيوس إلى المدرسة الرواقية في أثينا ، وكان آخر مريديها بلا منازع. ومع بانايتيوس، أصبحت الرواقية أكثر انتقائية. كان أشهر أعماله هو "عن الواجبات"، وهو المصدر الرئيس الذي استخدمه شيشرون في عمله الذي يحمل نفس الاسم. O. C. D., s.v. Panaetius

(2) Cf., Cicero , De Div., I, 12. 7.

(3) Cf., Cicero , De Div., I,viii. 15.

“Quid? de fulgurum vi dubitare num possumus?” (Cicero , De Div., I. x. 16)
"ماذا؟ هل يمكننا أن نشك في قوة البرق؟"

ويشير كوينتوس أنه قد وردت في حياتهم أمثلة كثيرة على معجزاته؛ ومن بينها ما أعلنه العرافون عن مكان وجود رأس تمثال الإله القدير "جوبيتر أوبتيموس ماكسيموس" تلك الرأس التي أطاحت بها الصاعقة التي ضربت التمثال، وألقت بها في نهر التيبر، حيث وجدت بعد أن أعلن العرافون عن وجودها هناك:

“haruspices in Tiberim id depulsum esse dixerunt;”(1).
" لقد أعلن العرافون عن أنه أُلقي في التيبر."

وحتى لعبة الحظ المعروفة باسم "النرد" لا تحدث في الحقيقة، قد يكون من المصادفة أن تلقى أربع نردات يضرب الحظ واحدة، أما إذا ألقيت مئة حبة وأصابت مئة زهرة، فإن ذلك ليس مصادفة، إنه بدون شك فن مثله في ذلك مثل تلك الصورة التي يرسمها الفنان لأي من الآلهة ومنها الإله بان Πάν ، على سبيل المثال؛ فهي ليست مصادفة مثل صورة الطفل الشبيه بالإله بان التي نتجت عن انشقاق الجبل في جزيرة خيوس♣Chios صدفة؛ إن الصورة التى يرسمها الفنان سكوباس♣ Scopas، تعد محاكاة وليست مصادفة.(٢)

(1) Cf., Cicero , De Div., I. x. 16.

♣ خيوس جزيرة يونانية في شمال بحر إيجة في مواجهة السواحل التركية القريبة من إزمير، وهي خامس أكبر جزر اليونان من خلال المساحة.

♣ سكوباس Σκόπας، أحد النحاتين اليونان العظام، وأحد مواطني جزيرة باروس، وازدهر في القرن الرابع ق.م. انظر: O C.D. s.v. Scopas.

(2) Cf., Cicero , De Div., I. xiii. 23:
“Sic enim se profecto res habet, ut numquam perfecte veritatem casus imitetur.”
"لأنه هكذا وأن الأمر يكون في نفسه بكل تأكيد وأن الحقيقة لا يمكن محاكاتها بالصدفة."

وفى الفقرة الثالثة والعشرين والتي نحن بصددها يستخدم شيشرون كلمة (talus) للدلالة على النرد المستطيل وهى تلك اللعبة التي كان يتم فيها إلقاء قالب على شكل كتلة مستطيلة بأربعة جوانب مع نهايات مستديرة؛ و "يتم دحرجة النرد للحصول على إجابة".[1]

ويلتمس شيشرون العذر لبعض الأخطاء التي قد تحدث أحيانًا من العرافين والمتنبئين، وذلك مثلما يحدث في بعض الأحيان من أخطاء من قبل أصحاب الفنون الآخرين المهرة، ومنهم الأطباء والبحارة وقادة الجيوش، فكل التأويلات وأنواع العرافة تخضع للاستنباط والاستدلال ولكنها توجهنا فى الغالب الأعم إلى الحقيقة[٢]:

"Sed tamen ad veritatem saepissime derigit;"

" لكن بالرغم من هذا فإنها في الكثير الغالب ترشدنا إلى الحقيقة."

كما نجده يشير إلى أن العرافة عن طريق الحدس هي نتاج ملاحظة وتدوين الشواهد والأدلة والنتائج على مدار فترة طويلة من الزمان [3] وقد شكل هذا الفن نفسه بنفسه غالبًا عبر الملاحظة والتدوين:

« Ars est effecta eadem saepe animadvertendo ac notando."[4]

" وهذا الفن في الغالب تم تشكيله بملاحظة وتدوين (الأحداث)."

ويشير شيشرون إلى نوع آخر من العرافة، ألا وهو التنبؤ عن طريق الدجاج المقدس، وذلك من خلال ملاحظة ذلك الطير وهو يقتات على اللقيمات، وعندما تقع منها قطع على الأرض، يرى العرافون أن وقوع شيء من طعامها على الأرض هو دلائل التكهن بالفأل الحسن "الحركة الأكثر مثالية"tripudium solistimum .[5]

(1) Wardle , op. cit., pp. 161- 162.
(2) Cf., Cicero , De Div., I. xiv.25.
(3)Hankinson, R. J., " Stoicism, Science and Divination", Apeiron 21, 1988, pp. 123- 124.
(4) Cf., Cicero , De Div., I. xiv. 25.
(5) Oxford Latin Dictionary, s.v.solistimus , p. 1783; tripudium 2, p. 1976:

ويدلل شيشرون على أهمية النبوءة وممارسة العرافة عند الناس عامة بالقول، على لسان كوينتوس، إنه نادرًا ما يتم اتخاذ أمر حتى في الحياة الخاصة دون اتخاذ الفئول سبيلًا، حتى في الزواج يقومون باستشارة النبوءة وقراءة الطالع، حتى تبارك الآلهة هذا الزواج ويشير أيضًا إلى استخدام فحص الأحشاء في التكهن حتى عصره، على الرغم من أن هذه الطريقة كانت تعمل في أيامه بدرجة أقل مما كانت عليه من قبل – لذلك في الماضي كان اللجوء إلى العرافة عن طريق الطير. وبالطبع كانوا يغضبون عند الحصول على نذير ينذر بسوء؛ حيث نجده يقول: (1)

“quod etiam nunc nuptiarum auspices declarant,
qui, re omissa, nomen tantum tenent. Nam ut nunc
extis (quamquam id ipsum aliquanto minus quam olim),
sic tum avibus magnae res impetriri solebant. Itaque, sinistra dum non exquirimus, in dira et in vitiosa incurrimus.”

(Cicero, De Divinatione, I. xvi. 28.)

”لأنهم حتى الآن يستشيرون النبوءات عند الزواج، رغم أن العرافين قد فقدوا صيتهم العظيم، لأنه حتى الآن في فحص الأحشاء (على الرغم من أن هذا النوع نفسه أقل استخداما مما كان عليه من قبل) وكانوا، عندئذ، معتادين على استشارة الطير في الأمر العظيم، بينما على اليسار لا نأخذه في اعتبارنا ونندفع غاضبين بشكل مُريع وسيء.“

وفي هذا السياق؛ ماذا يقول شيشرون عن أساليب التنبؤ بالغيب؟

يبدو من إشارة كوينتوس إلى اتفاقه مع من يقول بوجود نوعين من العرافة، أحدهما متصل بالفن والآخر غير متصل بالفن حيث يوجد من يتكهن عن طريق

– وهي في العرافة " الضوضاء التي تحدث من سقوط غلة من التي تتغذى عليها الدجاج المقدس على الأرض، وهذا يعتبر طيرة (فأل).

- see also: Linderski, J., " The Libri Reconditi" HSCP 89, 1985, pp. 226-227;Idem, Roman Questions, Stuttgart, 1995, pp. 515-516.

(1) Guillaumont, F., ‘Cicéron et les techniques de l’haruspicine’, in Guittard, 1986, pp. 121–123.

الحدس والتخمين من خلال مراقبة ما يحدث أمامهم طوال الوقت، ولا يتضمن أي فن للتنبؤ بالمستقبل؛ أنه يؤمن بوجود أسلوبين للعرافة[1]،حيث يقول:

« Iis igitur adsentior, qui duo genera divinationum esse dixerunt, unum, quod particeps esset artis, alterum, quod arte careret. Est enim ars in iis, qui novas res coniectura persequuntur, veteres observatione didicerunt. Carent autem arte ii, qui non ratione aut coniectura observatis ac notatis signis, sed concitatione quadam animi aut soluto liberoque motu futura praesentiunt, quod et somniantibus saepe contingit et non numquam vaticinantibus per furorem, (Cicero, De Divinatione, I. xvii. 34.)

" لذلك أتفق مع أولئك الذين قالوا إن هناك نوعين من العرافة: أحدهما مرتبط بالفن؛ والآخر مجرد من الفن. لأن هناك فنا فيهم، لأولئك الذين يستنتجون بالتخمين أشياء جديدة، وتعلم القدماء من خلال مراقبتها. من ناحية أخرى، فإنهم يتجردون من أية تقنية (تنبئ بالمستقبل)، وهم الذين بملاحظتهم وتسجيلهم للعلامات ليس عن طريق العقل أو التخمين (من خلال ملاحظة العلامات وتسجيلها)، ولكن عن طريق تحريك العقل أو بحركة حرة وغير مقيدة يتصورون الأشياء المستقبلية، لأن هذا غالبًا ما يسيطر على الأشخاص الذين يحلمون وأحيانًا أولئك الذين يتنبأون في حالة جنون. "

وفيما يبدو للباحث أن ربط شيشرون لموضوع ديني بموضوع أدبى أنما يشير إلى أن مفسري النبوءات (العرافين) يقتربون بدرجة كبيرة من الآلهة التى ينقلون للناس مشيئتهم عبر النبوءات التى يرسلونها ويقوم العرافون بتفسيرها تمامًا كما يفعل علماء اللغة عندما يقومون بتفسير وشرح أشعار الشعراء، الذين يبدو أنهم بدورهم لم ينشدوا أشعارهم من تلقاء أنفسهم، وأنما بإلهام ألهمتهم الآلهة إياه؛ ويشير كوينتوس إلى أن

(1)Kany-Turpin, J., ‘Météorologie et signes divinatoires dans le De Divinatione de Cicéron’, in Cusset, C. , (ed.), La Météorologie dans l’antiquité: Entre science et croyance: actes du colloque international interdisciplinaire de Toulouse, 2–3–4 Mai 2002, Saint-Étienne, pp. 367–369.

استنباء النبوءات عن طريق القرعة لا زال مقبولا نظرًا لكونه ذا نصيب كبير من الممارسة فى الأزمنة القديمة[1]، حيث يقول كوينتوس:

“Cuius generis oracula etiam habenda sunt, non ea, quae aequatis sortibus ducuntur, sed illa, quae instinctu divino afflatuque funduntur; etsi ipsa sors contemnenda non est, si [et] auctoritatem habet vetustatis,ut eae sunt sortes, quas e terra editas accepimus; quae tamen ductae ut in rem apte cadant, fieri credo posse divinitus. Quorum omnium interpretes, ut grammatici poëtarum, proxime ad eorum, quos interpretantur, divinationem videntur accedere. (Cicero, De Divinatione, I. xviii. 34 -35)”

" أيضًا في نبوءات من مثل هذا النوع يتم الاحتفاظ بها؛وهى ليست النبوءات التي تؤدى إلى حظوظ متساوية، لكنها تلك النبوءات التى تأتي عن طريق الوحي الإلهي على الرغم من أن العرافة بالقرعة ليست مرفوضة في حد ذاتها، حيث إنها كانت تتمتع بنفوذ في العصور القديمة، كما في حالة تلك القطع التي نتفق على أنها نشأت من الأرض والتى كما أعتقد من الممكن بفضل القوة الإلهية أن تأتى عند سقوطها بدليل بين. إن مفسري تلك النبوءات، مثلهم في ذلك مثل النحاة الذين يشرحون أقوال الشعراء، يقتربون بمن يفسرون نبوءاتهم، وعندها تصبح النبؤة ظاهرة للعيان واضحة)."

ومثلما كانت القرعة مقبولة في العصور القديمة فإن فئات أخرى من العرافة كانت تتمتع بقبول واسع وإيمان قوي، ولا يمكن لمن أراد أن يجادل في ذلك أن ينكرها، لأنه بهذا أنما ينكر عادات وتقاليد الأجداد، فلم يكن الإتروسكيون مخطئين حينما آمنوا بجدوى فحص أحشاء الطير أو تأمل البرق أو أى فأل ترسله الآلهة عبر ظاهرة من الظواهر وحتى الزلازل، فقد سبر الرومان غور مثل تلك الفئول، وكم جاءتهم رسائل تحذير من كوارث عبر صرير أو هدير أو هزة أرضية[2]. لكن شيشرون –على لسان كوينتوس– يستبعد الأحلام من النبوءات، حيث إنها – على الرغم من وجود الكثير

(1)Wardle, D., op. cit., p. 57; 197.
(2)Long, A. A., ‘Astrology: Arguments Pro and Con’, in Barnes et al., 1982, pp. 165–167; Cf., Cicero, De Divinatione, (I. xviii. 35.)

منها ثبتت مصداقيته – فإن الكثير منها أيضًا غير صادق at multa falsa ، إما لغموض محتواه بالنسبة إلينا، أو لأنه حتى وإن كان صادقًا فهو يخضع لتأثير الحالة التي نام عليها الرائي، فإن كانت معدته قد امتلأت بالطعام والشراب حتى أذهبت عنه الجزء الواعي من عقله فسوف يرى ما لا يراه من هو في حالة وعي أكثر منه [1]، إذ يرى الأول أحلامًا مضطربة ومشوشة ويرى نفسه غارقًا في ارتكاب المحرمات، وهنا يشير كوينتوس إلى كلمات سقراط في جمهورية أفلاطون، عن أن الإنسان عند نومه تكون روحه في خمول والجزء المسؤول عن التفكير في الروح يكون ضعيفًا، وأن الجزء الذي يحتوي على قدر من الوحشية في الروح يكون بسبب هذا الإنسان الذي يملأ معدته بالكثير من الأكل والشراب ولذلك فإن هذا الشخص يكون بلا تفكير، ويقوم في نومه بأشياء كثيرة غير لائقة وبشعة وبها تهور ووقاحة،♣ ويحلم كثيرًا بأشياء بعيدة عن الحقيقة [2]، حيث يصبح غير ورع، كما قال أفلاطون على لسان سقراط:

οἶσθ’ ὅτι πάντα ἐν τῷ τοιούτῳ τολμᾷ ποιεῖν, ὡς ἀπὸ
πάσης λελυμένον τε καὶ ἀπηλλαγμένον αἰσχύνης καὶ
φρονήσεως. μητρί τε γὰρ ἐπιχειρεῖν [571δ] μείγνυσθαι, ὡς οἴεται,
οὐδὲν ὀκνεῖ, ἄλλῳ τε ὁτῳοῦν ἀνθρώπων καὶ
θεῶν καὶ θηρίων, ... (Plato, Republ. IX, 571c- d)

"أنت تدرك أنه فى تلك الحالة لا يتورع على فعل أي شيء؛ فقد تجرد من كل شيء وتحرر من الإحساس بالعار ومن العزيمة. إنه لا يتردد فى وضع يده على أمه ولا حتى يضاجعها في مخيلته أو يضاجع شخصًا آخر من الرجال أو من الآلهة أو من الوحوش."

---

(1) -Cf., Cicero, De Divinatione, (I. xxviii. 60.)

♣ ربما يقصد شيشرون عملية الاحتلام pupertatem facere التي تحدث للمراهقين أثناء النوم.

(2) Cf., Plato, Republic 571 c-572 a

– ويؤكد كوينتوس على أن كلام أفلاطون هو المنطقي وأنه لكي تكون الأحلام معتدلة لابد من أن يتهيأ الفرد ويعتدل في أكله حتى لا تتسلل إلى نفسه الهواجس والفتن، انظر:

- Cf., Cicero, De Divinatione, I, 62.

أما أولئك الذين يسمحون للعقل أن يتغلب ويتفكرون فى أمور خيرة؛ فإنهم سوف يتمتعون برؤية صادقة؛ حيث ورد ما يلى عند أفلاطون على لسان سقراط:

ἀλλ᾽ ἐᾷ αὐτὸ καθ᾽ αὑτὸ μόνον καθαρὸν σκοπεῖν καὶ ὀρέγεσθαί του αἰσθάνεσθαι ὃ μὴ οἶδεν, ἤ τι τῶν γεγονότων ἢ ὄντων ἢ καὶ μελλόντων, *(Plato, Republ. IX, 572 a)*

"أما عندما يسمح لنفسه أن يكون نقيا فقط، فإنه سوف يتوقع ويصل إلى ويدرك ما لم يكن يعرفه سواء عن الماضى أو الحاضر أو حتى المستقبل. "

إن اللحظة التى يكون فيها الإنسان قريبًا من الموت –عند شيشرون– فإنه حينها يستطيع أن يتنبأ بالمستقبل، وعنده تكون حالة الروح عند النوم مماثلة لتلك اللحظة [1]؛ حيث يقول:

"Cum ergo est somno sevocatus animus a societate et a contagione corporis, tum meminit praeteritorum, praesentia cernit, futura praevidet; iacet enim corpus dormientis ut mortui, viget autem et vivit animus. quod multo magis faciet post mortem, cum omnino corpore excesserit. itaque appropinquante morte multo est divinior. » (Cicero, De Divinatione, I. xxx. 63)

"لذلك عندما تكون الروح منفصلة عن اتصالها وارتباطها بالجسد، حينها تتذكر الأشياء الماضية وتنفصل عن الحاضر وتتنبأ بالمستقبل لأن الجسد يسقط في النوم كما لو كان ميتًا، إلا أن الروح تحيا وتنشط. وستكون أكثر من ذلك بكثير بعد الموت عندما تترك الجسد تمامًا. وأيضًا عندما يكون الموت قريبا تكون (الروح) إلهية أكثر."

وكذلك الذين يصبحون على مشارف الموت،* ممن يمرضون بمرض قاتل، لديهم قدرة على التكهن بالغيب حيث تكون لديهم القدرة على التكهن بالغيب[1]، فيقول:

(1)Wardle, D., op.cit., p. 66; 264.s

* يتفق شيشرون في هذا الرأي حول قدرة الراحلين عن الدنيا على التنبؤ وهم على فراش الموت مع ما ورد في القرآن الكريم من حدة بصر الإنسان حتى إنه يدرك به ويشاهد ما كان ينكره في الدنيا"

« Nam et id ipsum vident, qui sunt morbo gravi et mortifero adfecti, instare mortem; itaque iis occurrunt plerumque imagines mortuorum, tumque vel maxume laudi student, eosque, qui secus, quam decuit, vixerunt, peccatorum suorum tum maxime paenitet. (Cicero, De Divinatione, I. xxx. 63)

"وعلى سبيل المثـال، تبدو هـذه الأشيـاء لمن يكونون متأثرين بمرض خطير ومميت عندما يكونون على وشك الموت؛ وهكذا تظهر لهم رؤى الموتى بشكل عام، ومن ثم يرغبون في المديح أكثر؛ بينما أولئك الذين عاشوا بشكل مخالف لما كان ينبغي لأن يعيشوا فإنهم يشعرون بالندم كثيرًا على ذنوبهم."

ويستند كوينتوس فى التدليل على أن من هم على وشك الموت تكون لديهم القدرة على التنبؤ بما سوف يحدث في المستقبل، إلى الفيلسوف بوسيدونيوس[2] الذى ذكر أن شخصا من جزيرة رودوس كان على وشك الموت استطاع أن يتنبأ بمصير ستة رجال من نفس العمر، حيث حدد أيهم من سيموت أولا، ثم من سوف يموت بعده، وهكذا [3] . ويشير كوينتوس إلى أن بوسيدونيوس يرى أن هناك ثلاث طرق من الممكن للفرد أن يحلم بها في ظل سيطرة الدافع أو الحافز الإلهي [4] ؛ وذلك حين يقول:

« Sed tribus modis censet deorum appulsu homines somniare, uno, quod praevideat animus ipse per sese, quippe qui deorum cognatione teneatur, altero, quod plenus aër sit inmortalium animorum, in quibus tamquam insignitae notae veritatis appareant, tertio, quod ipsi di cum dormientibus

---

بسم الله الرحمن الرحيم " وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ" صدق الله العظيم (سورة ق، ١٩-٢١).

(1) Long, A. A., (1982), pp. 167–168.

(2) بوسيدونيوس Ποσειδώνιος هو مؤرخ وفيلسوف رواقي سوري الأصل عاش من سنة ١٥٣ حتى ٥١ قبل الميلاد، انظر: OCD, s.v. Poseidonius.

(3) Cf., Cic., De Divitione, I, 64.

(4) Kidd, I. G., Posidonius II: The Commentary, Cambridge, 1988, p. 429; Wardle, D., op. cit., p. 267.

colloquantur. Idque, ut modo dixi, facilius evenit appropinquante morte, ut animi futura augurentur. » (Cicero, De Divinatione, I. xxx. 64)

" يفترض أن هناك ثلاث طرق تُمكن للبشر أن يحلموا عبر تأثير الآلهة، أولاً، أن الروح نفسها تتنبأ بنفسها وهى بالتأكيد بسبب ارتباطها بالآلهة؛ ثانيًا، الهواء مليء بالأرواح الخالدة، التي تظهر فيها علامات واضحة ومميزة للحقيقة؛ وثالثًا، أن الآلهة نفسها تتحدث مع النائمين. وكما قلت، إنه قال إن من السهل أن يحدث عند اقتراب الموت أن تتمكن الأرواح من أن تتنبأ بالمستقبل."

ويرى شيشرون أن الإحساس بالفأل مغروس في النفس البشرية، ويحدث نتيجة عوامل خارجية وأيضا بمشيئة الآلهة، حيث يقول على لسان كوينتوس:

“Inest igitur in animis praesagitio[1] extrinsecus iniecta atque inclusa divinitus. Ea, si exarsit acrius, furor appellatur, cum a corpore animus abstractus divino instinctu concitatur.” (Cic., D. Div., I. xxxi. 66)

"لذلك فإن النفس البشرية لديها قوة متأصلة في الإنذار أو المعرفة المسبقة التي يتم غرسها فيها من الخارج، وجعلت جزءًا منها بإرادة الإله. إذا تم تطوير هذه القوة بشكل غير طبيعي، فإنها تسمى" الجنون المؤقت "، والتي تحدث عندما تنسحب الروح نفسها من الجسد ويتم تحفيزها بعنف بدافع إلهي،"

1 () قد استخدم شيشرون الفعل praesagire[1] وهو الذي يعني " يتطير، يتنبأ بالشؤم" وهو فعل مركب من حرف الجر prae مع الفعل sagire ويشير في معناه إلى "أن يكون لدى الفرد تصور ثاقب وحاد" ويُطلق على العجائز من السيدات sagae [1] وتعني "ساحرة، مشعوذة، امرأة حكيمة" لأنهن يعرفن كثيرا ويتفنن في الأشياء المقدسة، ويذكر أنه يُطلق على كلاب الصيد sagaces[1] وهي صفة تعني "ثاقب ، حاد، ذو رائحة حادة، فطن، مُدرك" وهذه الكلاب تستكشف مخابئ فرائسها بحاسة الشم الحادة، ولذلك فإن الفرد الذي يمتلك المعرفة يُطلق عليه (sagit) واستخدم هذه الكلمات للإشارة إلى معرفة الأشياء مسبقا.

See: Oxford Latin Dictionary, s.v.praesagio; s.v. saga; s. v. sagax.

ويؤكد شيشرون على لسان كوينتوس أن العرافة عن طريق الأحلام والهذيان (الخبل) خالية من الفن، فكل من الأحلام والهذيان يعتمدان على نفس المنطق، فيقول:

“Exposui quam brevissime potui somni et furoris oracla, quae carere arte dixeram. Quorum amborum generum una ratio est,”(Cicero, De Divinatione, I, 70)

"باختصار قدر المستطاع، لقد عرضت النبوءات عن طريق الأحلام والهذيان، والتي، كما كنت قد قلت، مجردة من الفن. كلا من هذه الأنواع يعتمد على نفس المنطق،"

ويستمر تأييد كوينتوس لوجود العرافة والتأكيد على أهميتها مدللا على ذلك بأهمية وجود العيون من أجل القيام بعملية الرؤية وبالمثل فإن العرافة موجودة لتؤكد على الوجود الإلهى[1] ، حيث يقول:

“Item igitur, si sine divinatione non potest officium et munus divinationis exstare, potest autem quis, cum divinationem habeat, errare aliquando nec vera cernere, satis est ad confirmandam divinationem semel aliquid esse ita divinatum, ut nihil fortuito cecidis se videatur; sunt autem eius generis innumerabilia; esse igitur divinationem confitendum est.” (Cicero, De Divinatione, I. xxxii. 71)

" لذلك، بنفس الطريقة، إذا كان بدون عرافة (تكهن) فلا يمكن أن توجد وظيفة ودور للعرافة، لكن الشخص الذي يتمكن عندما يمتلك قوة العرافة، أن يُخطئ أحيانا ولا يرى الحقائق بدرجة كافية من أجل تأكيد وجود العرافة، وهكذا يوجد من يستطيع التنبؤ، ويبدو أنه لا شيء يمكن أن يحدث بالصدفة، لكن هناك العديد من الأشياء التي لا تُعد ولا تُحصى من نوعها؛ لذلك يجب الاعتراف بالعرافة."

ويشير شيشرون على لسان كوينتوس إلى أن العرافة المصطنعة– أي التي تعتمد على الصنعة– تشمل فحص أحشاء الحيوانات وتفسير الأحلام والنُذُر، وكل هذا يعتمد على التخمين أو الحدس[1]، حيث يقول:

(1) Repici, L., ‘Gli Stoici e la divinazione secondo Cicerone’, Hermes 123, 1995, pp. 184-185.

“Quae vero aut coniectura explicantur aut eventis anima dversa ac notata sunt, ea genera divinandi, ut supra dixi, non naturalia, sed artificiosa dicuntur; in quo haruspices, augures coniectoresque numerantur. Haec inprobantur a Peripateticis, a Stoicis defenduntur.” (Cicero, De Divinatione, I. xxxiii. 72)

" لكن في الواقع فإن أساليب العرافة التي تعتمد على التخمين، أو على الاستنتاجات من الأحداث التي تمت ملاحظتها وتسجيلها سابقًا، هى، كما قلت سابقًا، ليست طبيعية، ولكن يُطلق عليها أنها مصطنعة، وتشمل فحص الأحشاء والنذير وتفسير الأحلام؛ وهذه (الأنواع) يرفضها المشاؤون ويدافع عنها الرواقيون."

ويشير شيشرون على لسان كوينتوس إلى أن الخبراء المتخصصين هم من يقدمون رؤية مستقبلية جديرة بالثقة عن طريق التخمين، ويضرب فى ذلك مثلا بميداس Midas، ملك فريجيا الشهير، الذى ملأ النمل فمه بحبوب القمح أثناء نومه، عندما كان طفلا. وتوقع أحد الخبراء أنه سيكون رجلاً ثريًا للغاية؛ وحدث ذلك أيضا مع أفلاطون، فبينما كان رضيعًا نائمًا في مهده، استقر النحل على شفتيه، وتم تفسير ذلك على أن أفلاطون سيكون بليغًا فى المستقبل. ويشير كوينتوس إلى أن تفسير تلك النبوءات المصطنعة المبنية على فحص الأحشاء أو مراقبة البرق والرعد أمر يقره ويقوم عليه مجمع الكهنة؛ ويستخدم فيه الكتب التي تحوي تسجيل تلك الملاحظات ونتائجها؛ كما يشير كوينتوس إلى اعتماد البعض على التخمين كنوع من أنواع العرافة؛ ويدلل على ذلك بقيام العراف الأرجوسي كالخاس [2]، بالتنبؤ بعدد سنوات حرب طروادة عن طريق ملاحظة عدد العصافير

(1) Guittard, C., (ed.), ‘Haruspicine et devotio: caput iocineris a familiari parte caesum (Tite Live, 8.9.11)’, in Guittard, 1986, iii. 49–52; Wardle, D., op. cit., pp. 69; 280.

(2) – كالخاس Κάλχας في الأساطير اليونانية هو ابن ثستور (كاهن أبوللون) وأشهر عراف بين الإغريق في وقت حرب طروادة. لقد لعب دورًا مهمًا في الشجار بين أخيليوس وأجاممنون الذي بدأ هوميروس به الإلياذة. وكان كالخاس قادرًا على رؤية الأحداث المستقبلية بناءً على كيفية

“Qui ex passerum numero belli Troiani annos auguratus est;” [1].
" وهو الذي تنبأ بعدد سنوات الحرب الطروادية بعدد العصافير."

وفي إشارة إلى مصدرين للنبوءة؛ يتحدث كوينتوس عن وجود قوتين واحدة في الأرض والأخرى في الطبيعة؛ حيث كانت الكاهنة البيثية Pythia ، كاهنة دلفى، تستمد نبوءتها عبر إلهام يأتيها من قوة نابعة من الأرض. أما النبوءات السيبيلية، فإنها كانت تتم في كهوف طبيعية تحت الأرض، ويبدو أن كوينتوس الذي يكتب شيشرون هذا الكلام على لسانه، لا يعطي أي دور للأبخرة المتصاعدة من الكهف في إلهام الكاهنة السيبيلية[2]، حيث يقول:

“Nam terrae vis Pythiam Delphis incitabat, naturae Sibyllam. »
(Cicero, De Divinatione, I. xxxvi. 79)
" لأن قوة الأرض كانت تُلهم الكاهنة البيثية في دلفي وقوة للطبيعة تُلهم سيبيلّا."

ويؤكد كوينتوس على وجود قوة إلهية في النفس البشرية تساعدها في فعل بعض الأشياء، وذلك بقوله:

“Atque etiam illa concitatio declarat vim in animis esse divinam.”
(Cicero, De Divinatione, I. xxxvi. 80)
"وأيضًا هذه العاطفة توضح وجود قوة إلهية داخل النفوس البشرية."

طيران الطير. وكانت قدرته تلك هدية من الإله أبوللون. ووفقًا للقصائد المفقودة "الحلقة الملحمية" (مجموعة من ١٣ قصيدة يونانية قديمة على الأقل، العديد منها يتعلق بحرب طروادة)، تنبأ كالخاس بمدة حصار طروادة، وطالب بالتضحية بإيفيجينيا، ابنة أجاممنون ملك موكيناي، ونصح بصنع الحصان الخشبي الذي استولى به الإغريق فى النهاية على طروادة. أنظر: OCD, s.v. Calchas .

(1) Cf., Cicero, De Divinatione, I. xxxiii,72.

(2) Parke, H. W., (1988), pp. 199-201.

– يعكس الفعل الناقص الترجمة incitabat ، الاعتراف السابق بأن دلفي لم تكن فى ذلك الوقت مركزًا نبوئيًا بارزًا. المرجع نفسه، ص ٢٠٢.

ويذكر كوينتوس قول أرسطو فيما يخص تنبؤ المرضى، فيقول: [1]

“Aristoteles quidem eos etiam, qui valetudinis vitio furerent et melancholici dicerentur, censebat habere aliquid in animis praesagiens atque divinum. Ego autem haud scio an nec cardiacis hoc tribuendum sit nec phreneticis; animi enim integri, non vitiosi est corporis divinatio. (Cicero, De Divinatione, I. Xxxviii. 81.)

"اعتقد أرسطو أنه حتى الأشخاص الذين يصيبهم الخبل من آثار المرض ويطلق عليهم" المصابون بالمرة السوداء" يمتلكون في أرواحهم بعض قوى التبصر والتنبؤ. أما أنا فأميل إلى الاعتقاد بأن مثل هذه [القوة] لا يجب أن تُمنح إلى شخص ذى معدة مريضة أو إلى شخص مخبول، بل على العكس، فإن الروح السليمة وليس الجسد المريض هو الذي يمتلك قوة التكهن."

ويرى الباحث أن الفقرة السابقة تنم عن معارضة شيشرون لاعتقاد أرسطو في إمكانية قيام الشخص المعتل بداء البطن (المبطون) أو الخبل (المجنون) بالتنبؤ بنبوءة مستقبلية على الصورة السليمة وإنما هذه الهبة يجب أن يحظى بها إنسان سليم البدن نقى السريرة (الروح).

وللدلالة على وجود التكهن بالغيب من وجهة نظر الرواقيين يقول كوينتوس: [2]

“Quam quidem esse re vera hac Stoicorum ratione concluditur: “Si sunt di neque ante declarant hominibus, quae futura sint, aut non diligunt homines aut quid eventurum sit, ignorant aut existumant nihil interesse hominum scire quid sit futurum, aut non censent esse suae maiestatis praesignificare hominibus quae sunt futura, aut ea ne ipsi quidem di significare possunt;

(Cicero, De Divinatione, I. xxxviii. 82)

”الرواقيون، على سبيل المثال، يؤسسون وجود العرافة من خلال عملية التفكير التالية:

" إذا كانت هناك آلهة ولم توضح للبشر مسبقًا ما سيكون عليه المستقبل، فإما أنهم لا يحبون البشر؛ أو أنهم هم أنفسهم لا يعرفون ما هو آت؛ أو يعتقدون أنه لا فائدة للبشر

(1) Repici, L., "Aristotele, gli Stoici e il libro dei sogni nel De Divinatione e nel De Finibus di Cicerone", Metis 6: (1991), p. 184 n. 23.
(2)Repici, L., (1995), p. 187; Wardle, D., op. cit., p. 72; 308 ff.

من معرفة كيف سيكون المستقبل؛ أو أنهم يظنون أن كشفهم الغيب للبشر أمر يتنافى مع سلطانهم؛ أو أخيرًا، على الرغم من كونهم آلهة، فإنهم لا يمكنهم أن يتنبأوا به (بالمستقبل)."[٢٢]

وبهذا المفهوم فمن الواضح في رأي الرواقيين أن الآلهة موجودة وأن عليها أن تكشف عما يخبئه المستقبل للبشر حينما يلجأ البشر إليها طالبين هدايتها، حيث إن الآلهة تحب البشر، كما أن البشر من المفيد لهم معرفة أمور المستقبل، وبشكل خاص لكون الآلهة قادرة على ذلك(١).

وبعد أن أكد شيشرون على لسان كوينتوس وجود الآلهة وإنها تحب البشر وتحسن إليهم وتعرف ما قررته من خطط ومراسيم لمستقبل الكون، ويجب على البشر أن يكونوا أكثر حكمة، وأن يؤمنوا بما تقدمه العرافة لهم؛ حيث إنها من لدن الآلهة القديرة، التي أنزلت النبوءة وألهمت العرافين تفسيرها، وهو ما يتضح من الفقرة التالية:

"Sunt autem di; significant ergo; et non, si significant, nullas vias dant nobis ad significationis scientiam (frustra enim significarent), nec, si dant vias, non est divinatio; est igitur divinatio.' (Cicero, De Divinatione, I. xxxviii. 83.)

" ولكن هناك آلهة لأنها تقدم هذه الشواهد (النبوءات)، وإذا كانت تقدم تلك المشورات، فسوف تقدم لنا وسائل فهم تلك النبوءات، وإلا كانت نبوءاتها غير مجدية، وإذا أعطتنا أساليب الفهم، فعدم وجود عرافة لا يناسب ذلك؛ فلذلك توجد العرافة."

والحقيقة أنه من الصعب على غير أولى العلم بالعرافة معرفة أسباب كل نوع من أنواع العرافة، تلك الأنواع التى لم يستطع أحد تقديم أي دليل على عدم جدواها، ومن الصعب كذلك على الناس فهم ما يراه العراف. فليس من المتاح معرفة، "لماذا يقوم العراف بوقف إنجاز العرافة، ويؤجلها إلى يوم آخر، عندما يجد شقًا في رئة الضحية،

(1) Cf., Cicero, De Divinatione, I. 82.

على الرغم من أن الأعضاء الحيوية الأخرى سليمة؟؛ وكذلك ليس من اليسير معرفة "لماذا يعتقد النذير أن طيران الغراب إلى اليمين هو فأل إيجابي، وطيران غراب آخر إلى اليسار هو فأل غير إيجابي؟" [1] وغير ذلك مما اعتاد العرافون النطق به دون أن نعرف سببًا لذلك، فها هو كوينتوس يتساءل هل لنا أن نعرف "لماذا يعتبر المنجم أن اقتران القمر بكوكبي المشتري والزهرة عند ولادة الأطفال هو فأل مناسب، وارتباطه بزحل أو المريخ هو فأل غير مواتٍ؟" وكذلك، "لماذا يحذرنا الإله عندما نكون نائمين ويفشل في القيام بذلك عندما نكون مستيقظين؟" وأخيرًا، "لماذا تتوقع كاساندرا* المخبولة Cassandra furens الأحداث القادمة ولا يستطيع بريامـوس الحكيم Priamus sapiens** أن يفعل الشيء نفسه؟(٢)"

ومع التساؤلات السابقة الكثيرة لم يك من الممكن لأية أمة على وجه الأرض، أن تتجاهل ممارسة العرافة حتى بين القبائل غير المتحضرة in barbaris quidem gentibus، حيث وُجد لدى كل أمة كهنة متخصصون لممارسة معرفة النبوءات، فقد وجد الدرويداي Druidae في بلاد الغال؛ وهناك ديفيتياكوس Divitiacus، كاهن وزعيم قبيلة الآيدوى Aedui الكلتية، الذي كان يمارس النبوءة عبر ملاحظة الطير تارة، وتارة أخرى عبر الحدس (التخمين). كما وجد بين الفرس من

(1) Giovannini, A., op. cit., pp. 106-107.

* كاساندرا Κασ(σ)άνδρα، في الأساطير الإغريقية هي ابنة بريامـوس ملك طروادة وهيكوبا وكانت محبوبة لأبوللون والذي وعدها بنعمة التبصر إن استجابت لرغباته فوافقت على العرض، لكن ما إن حصلت على الموهبة حتى سخرت من أبولو وطلبه ورفضت تحقيقه. فانتقم أبوللون بأن جعل كل تنبؤاتها تكذّب.

** بريامـوس Πρίαμος، ملك طروادة أثناء فترة حرب طروادة وأبناؤه هيكتور وباريس وهيلينوس وكاساندرا وديفوبوس.

(2) Cf., Cicero, De Divinatione, I. xxxix. 85.

كانوا كهنة مبشرين ومنذرين وعرافين، كانوا يجتمعون في المعبد بانتظام ليمارسوا العبادة والعرافة(١).

ومثلما كانت قبائل الأيدوى تمارس التطير (استنباء الطير)، كانت إتروريا تبحث فيما وراء الصواعق من بشائر ونذر، وهو نوع آخر من أنواع العرافة، وقد تحدث شيشرون عن تفسير أهل إتروريا لصواعق السماء قائلًا:

« Etruria autem de caelo tacta scientissume animadvertit eademque interpretatur, quid quibusque ostendatur monstris atque portentis. » (Cicero, De Divinatione, I. xli. 92)

"لكن شعب إتروريا كان يراقب الصواعق القادمة من السماء بمهارة شديدة، ويشير إلى النبوءات المقدسة والفئول الحسنة."

وفي الوقت الذي مارست فيه قبائل الأيدوى العيافة، وفسر أهل إتروريا الصواعق، كان الفريجيون وأهل بيسيديا وأهل كيليكيا وأهل أومبريا والعرب يعتمدون في تنبؤاتهم – وفقًا للتقاليد التي توارثوها– بشكل أساسي على العلامات التي ينقلها إليهم تحليق الطير(٢).

ونظرًا لبراعة أهل إتروريا فى ممارسة التنبؤ بالغيب، فإن الرومان قد اختاروا اتباع نهجهم ونقله إلى روما عن طريق نخبة من أبنائهم كانوا يرسلونها إلى إتروريا لتعلم علم العرافة ونقله إلى روما، حتى يصبح فن العرافة جزءًا من النظام الديني للدولة، وهو ما نفهمه من كلام شيشرون على لسان كوينتوس، الذي جاء على النحو التالي:

“quocirca bene apud maiores nostros senatus tum,
cum florebat imperium, decrevit, ut de principum filiis
sex singulis Etruriae populis in disciplinam traderentur,
ne ars tanta propter tenuitatem hominum a religionis
auctoritate abduceretur ad mercedem atque quaestum.”
(Cicero, De Divinatione, I. xli. 92)

(1)Kany-Turpin, J. and Pellegrin, P., ‘Cicero and the Aristotelian Theory of Divination by Dreams’, in Fortenbaugh and Steinmetz, 1989, 220–223; cf., Cicero, De Divinatione, I. xli. 90.

(2) Cf., Cicero, De Divinatione, I. xli. 92.

" لهذا السبب، في أيام أجدادنا، كان مجلس الشيوخ عندما كان سلطانه فى عنفوانه قد أصدر بحكمة مرسومًا مفاده، أنه من بين أبناء الرؤساء، يجب تسليم ستة إلى كل القبائل الإتروسكية لدراسة ذلك الفن (العرافة)، حتى لا يتم تنحية فن رفيع عن تأثير الدين في الناس، وتحويل ذلك الفن إلى وسيلة ارتزاق."

وإن كانت تلك حال أنواع العرافة ومن اتبعها من الأمم، ترى ماذا دفع كل أمة منها أن تتبع نوعا ما من أنواع العرافة؟

يُشير شيشرون على لسان كوينتوس إلى أن تحديد نوع العرافة أو التكهن بالغيب كان أمرًا يعتمد في المقام الأول على البيئة التي تعيش فيها كل أمة من الأمم التي مارست هذا النوع أو ذاك،[1]حيث يقول:

“Ac mihi quidem videntur e locis quoque ipsis, qui a quibusque incolebantur, divinationum opportunitates esse ductae. etenim Aegyptii et Babylonii in camporum patentium aequoribus habitantes, cum ex terra nihil emineret, quod contemplationi caeli officere posset, omnem curam in siderum cognitione posuerunt. Etrusci autem, quod religione imbuti studiosius et crebrius hostias immolabant, extorum cognitioni se maxime dediderunt, quodque propter aeris crassitudinem de caelo apud eos multa fiebant, et quod ob eandem causam multa inusitata partim e caelo, alia ex terra oriebantur, quaedam etiam ex hominum pecudumve conceptu et satu, ostentorum exercitatissimi interpretes exstiterunt.”

(Cicero, De Divinatione, I. xlii. 93)

"الآن، ومن جهتي، أعتقد أن موقع البلد يحدد نوع العرافة الذي تبناه سكانها، على سبيل المثال، المصريون والبابليون، الذين يعيشون على أرض مستوية من السهول

(1) Pavis d’Escurac, H., ‘La pratique augurale romaine à la fin de la République: Scepticisme et tradition’, in Religion et culture dans la cité italienne de l’antiquité à nos jours, Strasbourg, 1981, pp. 27–29.

المفتوحة، حيث لا توجد جبال تمنعهم من رؤية السماء. قد كرسوا كل اهتمامهم بممارسة علم التنجيم، لكن الإتروسكيين لكونهم متعمقين في التدين بشدة، وكانوا يقدمون التضحيات الحيوانية باستمرار، فقد أسلموا أمر معرفتهم النبوءة لفحص أحشاء الأضاحي وبما أن كثافة الغلاف الجوي كانت شائعة بينهم، وعلاوة على ذلك، فقد تسببت حالة الغلاف الجوي هذه في العديد من ظواهر الأرض والسماء وكذلك بعض المعجزات التي تحدث في الحمل والولادة من البشر ومن الماشية – من أجل هذه الأسباب أصبح الإتروسكيون ماهرين جدًا في تفسير الفؤول."

وهل هناك أوقات تكون فيها العرافة مطلوبة أكثر من غيرها؟

من الملاحظ أن شيشرون في الكتاب الأول يعرض وجهة النظر المؤيدة بدرجة كبيرة للعرافة على اختلاف أنواعها وأسبابها وأماكن ممارستها؛ ويقول على لسان كوينتوس يقول إنه من الملاحظ أنه لا توجد أمة ولا دولة ولا ملك أو مواطن لا يلجأ إلى العرافة من أجل الإحساس بالأمان، سواء كان هذا في وقت السلم أم في وقت الحرب الذي يتطلب بشدة الحصول على الأمان؛ فقد فعل الرومان ذلك؛ وكذلك الحال بالنسبة للأثينيين الذين كانوا يحرصون على وجود العرافين فى كل مجلس من مجالسهم، أولئك العرافين "quos μάντεις vocant" الذين كانوا "يسمونهم بالمتنبئين"؛ أما الإسبرطيون فقد اتخذوا عرافًا موظفًا في بلاط ملوكهم، كما شرعوا وجود عراف في مجلس شيوخهم، وكانوا يسمونه "المستشار العام"

"sic enim consilium publicum appellant" ، كما أنهم كانوا يتوجهون إلى نبوءة الإله أبولّلون في دلفى ونبوءة الإله جوبيتر في دودونا طالبين منهما المشورة والهداية [1].

(1) Jocelyn, H. D., 'Urbs augurio Augusto condita', PCPS 17, 1971, pp. 44–46; Dillery, J., 'Chresmologues and Manteis: Independent Diviners and the Problem of Authority', in Johnston and Struck, 2005, pp. 167–168; Cf., Cicero, De Divinatione, I. xliii. 95.

أما في روما فإننا نجد أن مجلس الشيوخ قد أمر جماعة الحكماء العشر باستشارة الكتب السيبيلية، وقد توافقت نبوءات العرافين مع تفسير الحكماء لما ورد فى الكتب السيبيلية مرات كثيرة وذلك كما ذكر شيشرون على لسان كوينتوس[1]:

« Nam et cum duo visi soles sunt et cum tres lunae et cum faces, et cum sol nocte visus est, et cum e caelo fremitus auditus, et cum caelum discessisse visum est atque in eo animadversi globi, (Cicero, De Divinatione, I. xliii. 97.)

" عندما شوهدت شمسان وثلاثة أقمار ؛ وعندما ظهرت الشُهب؛ عندما شوهدت الشمس ليلًا؛ عندما سُمع أزيز في السماء؛ عندما شوهدت السماء تبتعد، وتظهر كرات (من النار) داخلها؛"

ويؤكد كوينتوس أنه حتى في نظر الرواقيين، فإنه هناك نوعان رئيسان من العرافة والمقصود بهما نوع من العرافة الطبيعية ونوع من العرافة الاصطناعية، وإن كان هناك خلاف بين الرواقيين على أي من النوعين كان أكثر يسرا[٢]، ويشير إلى وجود نوع من الأحداث المستقبلية ليس بوسع العرافة الاصطناعية القائمة على فحص الأحشاء، مثلًا الوصول إليه وأنما يتطلب نوعًا من العرافة الطبيعية التي تتطلب وجود الآلهة فى المشهد؛ وهنا يقوم كوينتوس بتأييد التنبؤ الطبيعي[3]، فنجده يقول:

“Altera divinatio est naturalis, ut ante dixi; quae physica disputandi subtilitate referenda est ad naturam deorum, a qua, ut doctissimis sapientissimisque placuit, haustos animos et libatos habemus; cumque omnia completa et referta sint aeterno sensu et mente divina, necesse est contagione divinorum animorum animos humanos commoveri. Sed vigilantes animi vitae necessitatibus serviunt diiunguntque se a societate divina vinclis corporis impediti. “ (Cicero, De Divinatione, I. xlix. 110.)

"النوع الثاني من العرافة، كما قلت سابقًا، هو النوع الطبيعي؛ ويجب، وفقًا لعلم الطبيعة، أن يُنسب إلى طبيعة الآلهة، والتي هى –كما يؤكد الحكماء– الأكثر علمًا،

(1) Scheid, J., (1998), pp. 15–17.
(2) Cf., Cicero, De Divinatione, I. xlix. 109.
(3) Repici, L., ‘Il sapiente stoico, la divinazione, la città’, QS 22, 1996, pp. 41–43.

أن لدينا أرواحا يتم أسرها، ثم يطلق سراحها. وبما أن الكون قد يكون ممتلئا تمامًا بالوعي الأبدي وبالروح الإلهية، فلا بد أن تتأثر أرواح البشر حين تتصل بالأرواح الإلهية، لكن عندما يستيقظ الرجال، تخضع أرواحهم لمتطلبات الحياة اليومية، فتنفصل عن الارتباط الإلهي، لأن قيود تعوقهم."

ولكن هل كل البشر تتصل أرواحهم بأرواح الآلهة، وبالتالى تكون نبوءاتهم صادرة عن مصدر طبيعى للنبوءة؟؟

يجيب شيشرون على لسان كوينتوس في الفقرة التالية، موضحًا أن ذلك الأمر نادر الحدوث، وأن العرافة الاصطناعية ليست ناتجة عن إلهام إلهي، وأنما هي مجرد استدلال عقلي لا يعد تكهنًا بالغيب، فيقول:

« Rarum est quoddam genus eorum, qui se a corpore avocent et ad divinarum rerum cognitionem cura omni studioque rapiantur. Horum sunt auguria non divini impetus, sed rationis humanae; nam et natura futura praesentiunt, ut aquarum eluviones et deflagrationem futuram aliquando caeli atque terrarum; alii autem in re publica exercitati, ut de Atheniensi Solone accepimus, orientem tyrannidem multo ante prospiciunt; quos prudentes possumus dicere, id est providentes, divinos nullo modo possumus; non plus quam Milesium Thalem, qui, ut obiurgatores suos convinceret ostenderetque etiam philosophum, si ei commodum esset, pecuniam facere posse, omnem oleam ante quam florere coepisset" (Cicero, De Divinatione, I. xlix.111)

"ومع ذلك، هناك فئة معينة قليلة منهم البشر الذين ينفصلون عن أجسادهم وتتملكهم رغبة شديدة في معرفة المقاصد الإلهية، وبعض هؤلاء البشر يتنبأون، وليس نتيجة إلهام سماوي، وأنما من خلال تقديرات بشرية، لأنهم يدركون مسبقا الكيفية المستقبلية، مثل، الفيضان المائي (الطوفان)، أو الوهج المستقبلى للسماء (البرق) والأرض (البركان)، وآخرون منخرطون في الشأن العام، كانوا يستشرفون المستقبل، مثلما نتفق حول صولون الأثيني، الذي اكتشف صعود الاستبداد في وقت مبكر. إن هؤلاء الرجال كانوا قادرين على النطق بالتنبوءات؛ لكن لا يمكننا مساواتهم بالمقياس الإلهي، وليس

هناك أكثر من طاليس* من مدينة ميليتوس*، الذي، كى يربك منتقديه ويظهر لهم أنه حتى الفيلسوف، إذا رأى ذلك مناسبًا، يمكنه جني الأموال، فقد اشترى محصول الزيتون بالكامل في منطقة ميليتس قبل أن تبدأ في الإزهار."

ويعود شيشرون ليؤكد على لسان كوينتوس أن النبوءة الطبيعية يتطلب تحرر الروح البشرية من قيود الدنيا وتمتعها بالوصل الإلهي؛ حيث يقول:

"Nec vero umquam animus hominis naturaliter divinat, nisi cum itasolutus est et vacuus, ut ei plane nihil sit cum corpore; quod aut vatibus contingit aut dormientibus. » (Cicero, De Divinatione, I. xlix. 113)

"في الواقع، لا تتنبأ نفس الإنسان أبدًا بشكل طبيعي، إلا عندما تكون غير مقيدة وحرة لدرجة أنها لا ترتبط أبدًا بالجسد، كما يحدث من العرافين وممن تراودهم الأحلام."

ويشير شيشرون على لسان كوينتوس إلى أن الرؤيا الناتجة عن الأحلام هي نبوءة صادقة مثل النبوءة الناتجة عن الهذيان ففي كلتي الحالتين تتحرر الروح من معوقات الجسد؛ وما يحدث للرائي الذي هو فى حالـة هذيان يماثل ما يصل إلى النائم في الأحـلام: [1]

"Nam quae vigilantibus accidunt vatibus, eadem nobis dormientibus. Viget enim animus in somnis liberque est sensibus omnique ac impeditione curarum iacente et mortuo paene corpore." (Cicero, De Divinatione, I. li.115.)

" وهي (الإيحاءات) التي تحدث للرائين عندما يستيقظون من النوم، والتي تحدث للنائمين منا. بينما تتحرر الروح في الأحلام وتكون حرة وتتحرر من كل الأشياء في

* طاليس الميليتي أو الملطي (٦٢٤-٥٤٦ ق. م.) وهو رياضي وعالم فلك وفيلسوف يوناني من المدرسة الأيونية، وهو أحد «الحكماء السبعة» عند اليونان

* مدينة ميليتوس هي مدينة قديمة في آسيا الصغرى، على الشاطئ الجنوبي من الخليج اللاتمي قرب مصب نهر مايأندر.

(1) Gallop, D., Aristotle. On Sleep and Dreams, 2nd edn. , Warminster, 1996, pp. 22-24.

الحواس وقد تتحرر من العوائق التي تقع على الاهتمامات (الدنيوية) وكأن الجسد ميت."

فروح النائم فى أفضل حالاتها فقد تحرر من حواس الجسد، مثل روح المتوفي، وإن كان هناك شرط لتكون الرؤى صادقة وثاقبة، وهو أن يكون صاحبها معتدلًا في مأكله ومشربه، وليس شخصًا شرهًا ينام ممتلأ البطن خامل الروح والذهن(١). ومن أجل تفسير الأحلام وكذلك رؤى العرافين وهم في حالة هذيان، وُجِد المفسرون الذين بالإضافة إلى كونهم يفسرون لنا غموض النبوءة فإنهم يرشدوننا إلى كيفية الاستفادة منها، وذلك كما فعلت الآلهة عندما علمتنا كيف نزرع النباتات والمحاصيل وكيف نجهز المحاصيل حتى تصبح صالحة للطعام nisi earum cultus et conditions tradidisse، أى أنه– وكما رأى أنتيفون– فإن مفسري الأحلام والنبوءات مطلوبون مثلما هو الحال بالنسبة إلى الشراح المطلوبين لشرح أشعار الشعراء، [sunt enim explanatores, ut grammatici poëtarum]،(٢).

وفى الفقرة الثانية والخمسين من الكتاب الأول يقدم شيشرون ملخصًا مجمعًا لأنواع العرافة ووسائلها حيث نجده يقول على لسان كوينتوس ما يلى:(3)

“Sed ita a principio inchoatum esse mundum, ut certis rebus certa signa praecurrerent, alia in extis, alia in avibus, alia in fulgoribus, alia in ostentis, alia in stellis, alia in somniantium visis, alia in furentium vocibus.”

(Cicero, De Divinatione, 1. lii. 118.)

”ولكن، في البداية، تم خلق الكون بحيث إن دلالات محددة تأتي قبل أمور معينة، ويأتى بعضها (بعض الدلالات) عن طريق فحص الأحشاء و(طيران) الطير، وأحيانًا

(1) Cf., Cicero, De Divinatione, I. li. 115.
(2) Cf., Cicero, De Divinatione, I. li. 116.
(3)Van der Eijk, P. J., ‘Aristotelian Elements in Cicero’s De Divinatione’, Philologus 137, 1993, 223–225; D. Wardle, op. cit., p. 391.

عن طريق البرق، وعبر النجوم، وأحيانًا بواسطة أحلام النائمين، وأحيانًا من خلال أقوال من يهذون (يصبهم الخبل).

ويؤكد شيشرون على صدق هذه الإشارات ذات الدلالة ويرى أنها فى حد ذاتها صادقة وإن حدث خطأ ولم تواكب الأحداث فإن هذا يرجع إلى خطأ المفسرين الذين يقدمون استنتاجات وتفسيرات خاطئة، فيتم النظر إلى النبوءة بوصفها خاطئة. فالمفسرون تنقصهم الخبرة والمهارة interpretum inscientia sed وليست النبوءة تنقصها المصداقية.

فتلك الإشارات التنبؤية (النذر) المحددة certa signa تصدر عن قوة إلهية تتحكم فى حياة البشر esse quandam vim divinam hominum vitam continentem ، وإن كان من الصعب معرفة تأثير حالة الأضحية على طبيعة تلك النذر(١).

يتحدث كوينتوس عن الطير التي تكشف الطالع بطيرانها وهى[2] alites من تكشف الطالع بطيرانها كالنسر والصقر؛ وعن الطير [3] oscines وهي التي تكشف الطالع بأصواتها مثل: الغربان والبوم، إن الطير فى حد ذاتها هي التي تعرف وجه النفع، وليست الأحداث العرضية هي التي تنطوي بنفسها على معرفة شيء ما، ولكنها الآلهة، تستخدم شواهد مختلفة، وربما استخدمتها بلغة ملائمة لتحذير الناس، إذ يعتقد البعض بأن آلهة أو شياطين تشرف على حركات الطير بطريقة ما أو تضطرها إلى إخراج أصوات معينة بطريقة تمكن الناس من العلم بأمور بعينها. [4]ويعتقد غير هؤلاء أن نفوس الحيوانات تنطوي على شيء إلهي يجعلها قادرة على المعرفة المفيدة؛

(1) Cf., Cicero, De Divinatione, I. lii. 118.
(2) Oxford Latin Dictionary, s. v. ales 2.
(3) Oxford Latin Dictionary, s. v. oscen.
(4)André, J., Les Noms d' oiseaux en Latin, Paris, 1967, pp. 67-68.

وجميعها تطيع الإله !cuius numina parent omnia ، أي أن الطائر وهو يقدم النُذُر ينفذ مشيئة الإله [1].

ويقرر شيشرون على لسان كوينتوس أن مصادر النبوءة هى ثلاثة مصادر تتفق جميعها مع القضاء والقدر،[2] حيث يقول:

"Quocirca primum mihi videtur, ut Posidonius facit, a deo, de quo satis dictum est, deinde a fato, deinde a natura, vis omnis divinandi ratioque repetenda. Fieri igitur omnia fato ratio cogit fateri. "

(Cicero, De Divinatione, I. lv. 125)

"لذلك، يبدو لي أنه يجب علينا أن نفعل ما يفعله بوسيدونيوس، وأن نتتبع المبدأ الحيوي للعرافة في مجمله إلى ثلاثة مصادر: أولاً : إلى الإله، الذي تمت مناقشة علاقته بالموضوع بشكل كافٍ؛ ثم إلى القدر؛ وأخيرًا: إلى الطبيعة. يجبرنا العقل على الاعتراف بأن كل الأشياء تحدث من خلال القدر."

وحيث إن التسلسل المنطقى للأسباب في حد ذاته ينتج وجودا للحقيقة الخالدة التى تعود فى أصلها إلى الأبدية، لذلك لم يحدث شيء غير محتم الحدوث إنه القدر المحتوم، ولذلك أيضًا لن يحدث شيء دون أن يوجد في الطبيعة أسباب كافية لحدوثه[٣]. وإن القدر ما هو إلا علم الأسباب، فهو كما يقول شيشرون على لسان كوينتوس:

"Causa aeterna rerum, cur et ea, quae praeterierunt, facta sint et, quae instant, fiant et, quae sequuntur, futura sint."(Cicero, De Divinatione, I. lv. 126)

"(إن القدر هو)، السبب الأبدي للأشياء، أو لأنه سبب الأشياء الماضية، والأشياء الحاضرة التي تتخذ موقعها الآن، والأمور المستقبلية التي قد تحدث والتي قد تصاحبها في المستقبل."

(1)Wardle, D., op. cit., pp. 397-398.; cf., Cicero, De Divinatione, I, 120.
(2)Monarchou, D. M. 'Posidonius' ''Hierarchy'' between God, Fate and Nature', Philosophia 4, 1976, 286–287.
(3) Cf., Cicero, De Divinatione, I. lv. 125.

وبما أن العلم قد أخبرنا أن القدر هو السبب الأبدي لوقوع الأحداث، سواء التي حدثت من قبل أو التي تحدث الآن أو التي سوف تحدث في المستقبل، فإن الإنسان من الممكن له أن يعرف ناتجًا معينًا ينتج عن سبب محدد، وهو ما يتضح من السطور التالية:

"Ita fit, ut et observatione notari possit, quae res quamque causam plerumque consequatur, etiamsi non semper (nam id quidem adfirmare difficile est), easdemque causas veri simile est rerum futurarum cerni ab iis, qui aut per furorem eas aut in quiete videant."(Cicero, De Divinatione, I. lv. 126)

"وبهذا يصبح من المناسب معرفة مايمكن أن يكون عبر ملاحظة الأثر الذي سيتبع في معظم الحالات سببت ما، حتى لو لم يكن السبب معروفًا ؛ لأنه من المبالغة القول بأنه معروف في كل حالة، ومن المحتمل أن يتم إدراك أسباب الأحداث القادمة هذه قبل أن يدركها أولئك الذين يعتريهم الخبل أو يخلدون إلى النوم."

ويستمر كوينتوس فى حديثه، الذى أجراه شيشرون على لسانه، عن العلل والغايات والنتائج التى من الممكن لمن تمرس فيها أن يكون جديرًا بالتنبؤ بالأحداث دون الوقوع في أخطاء، وما لهذا العلم الأبدي إلا أن يكون من خصائص الإله، الذي يسمح لأفراد من البشر أن يروا في بعض الظواهر دلالات مستقبلية تبشرهم أو تنذرهم، بناء على دراستهم وملاحظتهم الدقيقة لمجريات الزمان عبر العلل والأسباب،[1] وبهذا يكون الإله هو من ينعم على فئتين من العرافين بمعرفة الغيب، وهما كما ورد عند شيشرون:

"Quod et ei vident, quibus naturalis divinatio data est, et ei, quibus cursus rerum observando notatus est. qui etsi causas ipsas non cernunt, signa tamen causarum et notas cernunt; ad quas adhibita memoria et diligentia et monumentis superiorum efficitur ea divinatio, quae artificiosa dicitur, extorum, fulgorum, ostentorum signorumque caelestium."

(Cicero, De Divinatione, I, 127)

(1)Valeton, I. M. J., 'De modis auspicandi Romanorum', Mnemosyne. 17, 1889, pp. 275–325, pp. 420–423.

"أولئك الذين وهبت لهم عرافة طبيعية، وأولئك الذين يعرفون مجرى الأحداث من خلال ملاحظة شواهدها، فهؤلء قد لا يميزون الأسباب في حد ذاتها، لكنهم يميزون شواهد تلك الأسباب ودلالاتها. إن الدراسة الدقيقة لتلك الشواهد وتذكرها، بمساعدة سجلات الأزمنة السابقة، قد أنشأت هذا النوع من العرافة المعروف باسم "المصطنع"، وهو العرافة عن طريق فحص الأحشاء وملاحظة البرق بالأعاجيب (المعجزات) والظواهر السماوية. "

وبما أن العرافين – كما سبق أن ذكرنا– قد ألهمتهم الآلهة بما لم تلهم به غيرهم، فليس من الغريب أن يعرفوا أشياء ليس لها وجود في أي مكان في العالم الملموس، لأن كل الأشياء موجودة بالفعل حتى المستقبلي منها، والذي من الممكن للعراف معرفتها والتنبؤ بها، فالمتنبؤون والنائمون– بعد أن تتحرر أنفسهم من متاعب الحياة يعرفون أحداث المستقبل وشواغلها. ويمكن قول الشيء نفسه عن أولئك الذين انكبوا على دراسة النجوم، ولاحظوا مساراتها بدقة، وربطوا بين ذلك وبين مجريات الزمان، فقد تمكنوا من رؤية أحداث مستقبلية؛ إن أرواح البشر عندما تتحرر من شواغل ومعوقات الجسد سواء بالنوم أو بحالة الخبل، فإنها تتصل بالآلهة كما سبق القول(١).

ويعود شيشرون ليؤكد (فى الفقرة السابعة والخمسين من الكتاب الأول وهى الفقرة قبل الأخيرة) على لسان كوينتوس الذي ينقل بدوره رأي ديموكريتوس Democritus♣ الذي يقول بنجوع (ظهور أثر) فحص أحشاء الأضاحي من أجل العرافة(2)، حيث يقول:

"Democritus autem censet sapienter instituisse veteres, ut hostiarum immolat arum inspicerentur exta; quorum ex habitu atque ex colore tum salubritatis,

(1) Cicero, De Divinatione, I. lvi. 128.

♣ ديموكريتوس Δημοκρίτος (٤٦٠–ق. م.) فيلسوف يوناني ولد في أبديرا، تراقيا وكان من الفلاسفة المؤثرين في عصره.

(2) Schäublin, C., 'Ementita auspicia', WS 20, 1986, 165–167.

tum pestilentiae signa percipi, non numquam etiam, quae sit vel sterilitas agrorum vel fertilitas futura." (Cicero, De Divinatione, I. lvii. 131)

"مرة أخرى ، يعبر ديموقريطوس عن رأي مفاده أن القدماء تصرفوا بحكمة في التزود بفحص أحشاء الذبائح؛ لأنه، كما يعتقد، يكون لون الأحشاء وحالتها العامة أحيانًا ينبأك بالصحة، وأحيانًا بالمرض وأحيانًا ما إذا كانت الحقول جرداء أم مثمرة."

وفي الفقرة (الثامنة والخمسين lviii) الأخيرة من الكتاب الأول ينبري كوينتوس في مهاجمة الدجالين والمشعوذين الذين يستغلون حاجة الناس إلى نبوءة تهدئ من روعهم وتهديهم إلى سبل الرشاد، ويقومون بإيهام الناس بقدرتهم على التنبؤ ويأخذون منهم أموالا مقابل ذلك[1]:

"Nunc illa testabor, non me sortilegos neque eos, qui quaestus causa hariolentur, ne psychomantia quidem, quibus Appius, amicus tuus, uti solebat, agnoscere." (Cicero, De Divinatione, I. lviii. 132)

"ومع ذلك ، سأؤكد في الختام، أنني لا أجد سببًا يقنعنى، لا بالعرافين، ولا بأولئك الذين يتنبأون مقابل المال، أو مستحضري الأرواح، الذين اعتاد صديقك أبيوس♣ أن يتشاور معهم."

وفى نهاية حديثه يؤكد كوينتوس أنه يتفق مع إنيوس في القول بوجود الآلهة، ولكنه يختلف معه في القول بأن تلك الآلهة لا تهتم بأمر البشر، حيث يرى كوينتوس أن الآلهة تريد بالبشر خيرًا وتهتم بأمرهم بغية وصولهم إلى حياة أفضل، وهو ما يتضح من قوله:

"Ego autem, qui et curare arbitror et monere etiam ac multa praedicere, levita te, vanitate, malitia exclusa divinationem probo." (Cicero, De Divinatione, 1,lviii. 132)

(1)Wardle, D., op. cit., p. 421.

♣ أبيوس Appius وهو أبيوس كلوديوس زميل شيشرون في ديوان العيافة.OCD. s. v. Appius

"أما من ناحيتي أنا؛ فإن أولئك (الآلهة) تهتم بالبشر ليصلوا إلى الأفضل، وينصحونهم وحتى يحذرونهم كثيرًا مسبقًا، فأنا أوافق على عرافة خالية من التفاهة ومن الزيف والخداع."

الخاتمة:

يتضح من هذا البحث ما كان عليه المجتمع الروماني في عصر شيشرون، حيث قدم كوينتوس لنا الكثير من المعلومات عن علم التكهن بالغيب أو فن العرافة أو قراءة الطالع وهذا كله من خلال الكتاب الأول من محاورة " عن العرافة" لشيشرون.

تنقسم أساليب التنبؤ بالغيب إلى نمطين: الأول هو الأسلوب المصطنع والثانى هو الأسلوب الطبيعي والتنبؤ المصطنع هو ذلك التنبؤ الذي يعتمد على ما دونه السابقون من ملاحظات للشواهد والنتائج عبر ملاحظتهم الدقيقة للظواهر الطبيعية وطبيعة أحشاء الأضاحى والطير، وغير ذلك مما استدعى الملاحظة والتدوين؛ أما التنبؤ الطبيعي فهو الذي يعتمد على الإلهام سواء تم فى المنام أو فى اليقظة من رؤية وأحلام، كما أنه يرتبط بطبيعة المكان والبيئة.

ومن الواضح أن التنبؤ بالغيب لعب دورًا مهمًا في التوطيد السياسي للحكام، كما أنه قد أثر على حياة البشر من حيث اقتناعهم بضرورة ممارسة العرافة عند الشروع في عمل يرضونه.

ويمكن القول إن المجتمع الروماني قد تاثر بالعرافة، كما أن العرافة قد أُستخدمت كجزء مهم يعبر عن علاقة الدولة بالدين. فقد كان القادة يلجأون إلى استطلاع النبوءات من أجل القيام بأي حملة عسكرية أو الإقدام على اصدار أمر ما.

قائمة بالاختصارات

AC	L'Antiquité Classique
ANRW	H. Temporini and W. Haase (eds.), Aufstieg und Niedergang der ro¨mischen Welt (Berlin, 1972–).
Cf.	From the Latin word confer meaning 'compare'.
Cic.	Cicero
CP	Classical Philology
De Div.	De Divinatione
HSCP	Harvard Studies in Classical Philology
Idem	idem is a Latin term meaning "the same".
IJSR	International Journal of Science and Research
JRS	Journal of Roman Studies
Mnem.	Mnemosyme
OCD	Oxford Classical Dictionary
op. cit.	for the Latin 'opere citato' which means 'in the work cited'.
PCPS	Proceedings of the Cambridge Philological Society
PP	La Parola del Passato
QS	Quaderni di Storia
RCCM	Rivista di Cultura Classica e Medioevale
RÉA	Revue des Études Anciennes
s. v.	sub verbo
WS	Wiener Studien

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

- Cicero, De Senectute, De Amicitia, De Divinatione, with an English Translation by:William Armistead Falconer, L C L, London, 1992.
- Martial, Epigrams, 2nd Vol, with an English Translation by: Walter C. A., L C L, London, 1920.
- Plato, Euthyphro, Apology, Crito, Phaedo, and Phaedrus, with an English Translation by: Fowler H. N.; and an Intrroduction by: Lamb W. R. M., LCL, London 1919.

- Plato, Republic, 2 vols, with an English Translation by: Paul Shorey, L C L, London, 1952.
- Sextus Pompeius Festus ١٢٣٦} Fest) De Verborum Significatione Sexti Pompei Festi De Verborum Significatu Quae Supersunt cum Pauli Epitome ,ed. W. M. Lindsay, 1913_٠٠١_١٢٣٦} Verb{
-Virgilius, Eclogues, Georgics and Aeneid i-vi, with an English Translation by: Fairclough, H. Rushton, Harvard University Press, 1978.

ثانيًا: القواميس والمعاجم:

- Liddell and Scott, New York, 1885.
- Oxford Classical Dictionary, 1949.
- Oxford Latin Dictionary, Oxford, 1968.
– المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

- André, J., Les Noms d' oiseaux en latin, Paris, 1967.
- Badalì, R. ," Il proemio de De Divinatione", RCCM 18, 1976, 27-47.
- Bannon, C. J. , Brothers of Romulus, Princeton, 1997.
- Barton, T. , Ancient Astrology, London, 1994.
- Beard, M., 'Cicero and Divination: The Formation of a Latin Discourse', JRS 76, 1986, p. 35
- Briquel, D. , 'Art augural et Etrusca Disciplina: Le Débat sur l'origine de l'augurat romain', in Guittard, 1986, 68–100.
- Cabrera, F., "Evidence and Explanation in Cicero's On Divination", Studies in History and Philosophy of Science Part A, December 2019.
- Dedes, E., Oracular Priestesses and Goddesses of Ancient Crete, Delphi, and Dodona, Ph.D., San Francisco, 2015.
- Dillery, J. , 'Chresmologues and Manteis: Independent Diviners and the Problem of Authority', in Johnston and Struck, 2005, 167–231.
- Dragona, M. Monarchou, 'Posidonius' ''Hierarchy'' between God, Fate and Nature', Philosophia 4, 1976, 286–301.
- Erskine, A., Troy between Greece and Rome, Oxford, 2001.
- Gallop, D., Aristotle. On Sleep and Dreams, 2nd edn. , Warminster, 1996.
- Giovannini, A., 'Les Livres auguraux', in Moatti, 1998, 103–22.
- Gradel, I. , Emperor Worship and Roman Religion, Oxford, 2002.

- Guillaumont, F. , ‘Cicéron et les techniques de l’haruspicine’, in Guittard, 1986, 121–35.
- Guittard, C. , (ed.), ‘Haruspicine et devotio: caput iocineris a familiari parte caesum (Tite Live, 8.9.11)’, in Guittard, 1986, iii. 49–67.
- Haack, M. -L., ‘Haruspices publics et privés; tentative d’une distinction’, RÉA 104, 2002, 111–115.
- Hankinson, R. J., "Stoicism, Science and Divination", Apeiron 21, 1988, 123-160.
- Harris, W. V., ‘Roman Opinions about the Truthfulness of Dreams’, JRS 93, 2003, 18–33.
- Hunger, H. and Pingree, D. , Astral Sciences in Mesopotamia, Leiden, 1999, p. 13.
- Jocelyn, H. D., ‘Urbs augurio augusto condita’, PCPS 17, 1971, 44–74.
- Johnston, S. I. and Struck, P. T. (eds.), Mantikê: Studies in Ancient Divination, Leiden, 2005.
- Kany-Turpin, J. and Pellegrin, P., ‘Cicero and the Aristotelian Theory of Divination by Dreams’, in Fortenbaugh and Steinmetz, 1989, pp. 220–223
-Idem, ‘Météorologie et signesdivinatoires dans le De Divinatione de - Cicéron’, in C. Cusset (ed.), La Météorologie dans l’antiquité: Entre science et croyance: actes du colloque international interdisciplinaire de Toulouse, 2–3–4 mai 2002, Saint-Étienne, 367–78.
- Kidd, I. G., Posidonius II: The Commentary, Cambridge, 1988.
- Kragelund, P., ‘Dreams, Religion and Politics in Republican Rome’, Historia 50, 2001, 53–95.
- Liebeschuetz, J.H.W.G., Continuity and Change in Roman Religion, Oxford, 1979.
- Linderski, J.,"Cicero and Divination", PP 37, 1982, pp. 12-38.
- Idem, , "The Libri Reconditi" HSCP 89, 1985, pp. 207-234.
- Idem, "The Augural Law", ANRW ii/ 16. 3, Berlin, 1986a, pp. 2146-2312.
-Idem, ‘Watching the Birds: Cicero the Augur and the Augural Templa’, CP 81, 1986b, pp. 330–40.
- Idem, Roman Questions, Stuttgart, 1995.
- Long, A. A., ‘Astrology: Arguments Pro and Con’, in Barnes et al., 1982, pp. 165–92.
- Idem, ‘Cicero’s Plato and Aristotle’, in Powell, 1995, pp. 37–39.
- Momigliano, A. D., ‘The Theological Efforts of the Roman Upper Classes in the First Century’, CP 79, 1984, 199–211.

- Montero, S., ‘Mántica inspirada y demonología: los Harioli’, AC 62, 1993, pp. 115–29.
- North, J. A., "Diviners and Divination at Rome", in Beard and North, 1990, pp. 51-71.
- Parke, H. W., Sibyls and Sibylline Prophecy in Classical Antiquity, London, 1988.
- Pavis d’Escurac, H., ‘La Pratique augurale romaine à la fin de la République: Scepticisme et tradition’, in Religion et culture dans la cité italienne de l’antiquité à nos jours, Strasbourg, 1981, pp. 27–29.
- Price, S. R. F., Rituals and Power: The Roman Imperial Cult in Asia Minor, Cambridge, 1984.
- Rawson,E.D., Intellectual Life in the Late Roman Republic, London, 1985.
- Repici, L.,"Aristotele, gli Stoici e il libro dei sogni nel De Divinatione e nel De Finibus di Cicerone", Metis 6, 1991, 167–203.
- Idem,‘Gli Stoici e la divinazione secondo Cicerone’, Hermes 123, 1995, pp. 175–92.
- Idem, ‘Il sapiente stoico, la divinazione, la città’, QS 22, 1996, pp. 41–69.
- Rosemary , L., The Role of the Pythia at Delphi: Ancient and Modern Perspective, M.A., Unversity of South Africa, 2014.
- Schäublin, C., ‘Ementita auspicia’, WS 20, 1986, pp. 165–81.
- Scheid, J. ,‘La Parole des dieux: L’Originalité du dialogue des Romains avec leurs dieux’, Opus 6–8, 1987–9, pp.125–36.
- Idem, ‘Les Livres Sibyllins et les archives des quindécemvirs’, in Moatti, 1998, pp. 11–26.
- Siddiq Ali Chishti, Muhammad Ifzal Mehmood, “The Nature and Function of auspicia in Roman Religion and Roman Political System”, (IJSR) Volume 4 Issue 7, July 2015, 2697-2699.
- Valeton, I. M. J. ,‘De modis auspicandi Romanorum’, Mnemosyme. 17, 1889, pp. 275–325; pp. 420–52.
- Van der Eijk, P. J., ‘Aristotelian Elements in Cicero’s De Divinatione’, Philologus 137, 1993, pp. 223–31.
Wardle, D., in T. Rajak and G. Clark (eds.), Philosophy and Power, Oxford, 2002, pp.181-91.
- Idem, Cicero: On Divination Book 1, Clarendon Press, Oxford, 2006.

المراجع العربية:

– أميرة حلمي مطر، محاورة فايدروس لأفلاطون أو عن الجمال،مكتبة دار الغريب، القاهرة، ٢٠٠٠.

– عبد الله المسلمي، فرجيليوس، الإنيادة، الجزء الأول، المركز القومي للترجمة، ٢٠١١.

– علم الغيب فى العالم القديم : وضعه شيشرون فيلسوف الرومان وخطيبهم؛ ترجمه وشرحه وعلق عليه: توفيق الطويل؛ السلسلة الفلسفية والاجتماعية ٢، مكتبة الآداب بالجماميز؛ القاهرة [١٩٤٦].

– موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للعلامة/ محمد على التهانوي، تقديم ومراجعة/ رفيق العجدم، تحقيق على دحروج، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦.

مواقع شبكة المعلومات الدولية:

https://islamic-content.com/dictionary/word/7222.
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=283631.
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B1%D8%AF/.
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D9%81%D8%A9/
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%86%D8%AC%D9%85%D8%A9/